## خمسون عاما على مجزرة دير ياسين


AL HADAF

# الهدف

سياسية عربية

كل الحقيقة للجماهير





## المسار الفلسطيني/ طريق السلام المسدود:

# مستنقع التفاصيل والعودة للثوابت

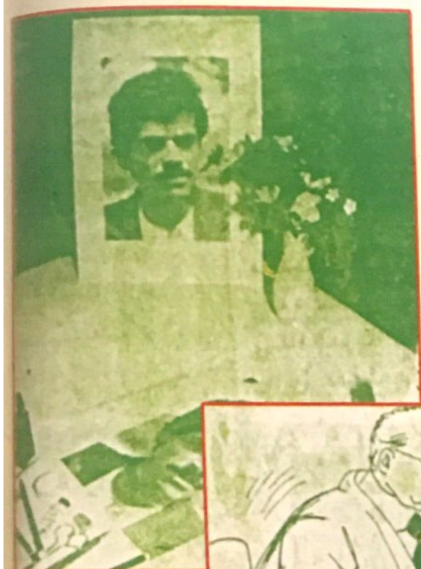
١٣٪ ١٪ ١١٪ ٢٪ ٣٪

١٣,١٪ ١٠٪ ...٪ ٩٪ ٥,٥٪ ١,٥٪ ٨٪ ...٪

# وداعاً فنان الكاريكاتور الملتزم

## محمد عليوات «حمودة»

إدريس علوش







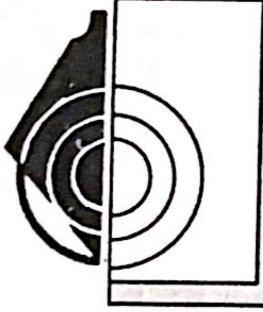

قضى نحبه على درب الإلتزام فنان الكاريكاتور المغربي المعروف باسمه الحركي «حموده» (واسمه الحقيقي محمد عليوات) يوم الأربعاء ٤ مارس ١٩٩٨، حيث رافقه إلى مثواه الأخير رفاقه في جريدة «الاتحاد الاشتراكي» و«ليبراسيون» وموظفو دار النشر المغربية والعديد من فعاليات القطاع الصحافي، وبعض الفنانين، ورموز العمل السياسي...

لقد عرف الفقيد «حموده» بالتزامه، حيث عالج عبر رسومه الموضوعات التي تشغل قضايا المواطنين، والقضايا العربية المصيرية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وعرف أيضاً برفضه للتطبيع مع الكيان الصهيوني الغاشم، وظل كذلك إلى أن أسلم الروح لباريها...

ولد الفقيد «حموده» (محمد عليوات) في ٤ من فبراير ١٩٥٦ بمدينة سيدي قاسم (المغرب، اشتغل بجريدة «البلاغ المغربي» (١٩٨١-١٩٨٤) وفي جريدة «الاتحاد الاشتراكي» منذ عام ١٩٨٤ إلى حدود وفاته يوم (٤ مارس ١٩٩٨)...

وفي استحضار ذكراه يقول الشاعر والصحفي عبد الحميد بن داود «سقطت على مشارف الربيع ورقة في كامل اخضرارها وبهائها من شجرة حبنا، لها بريق الكريستال وصفاء الينابيع، فغامت صفحات قلوبنا، وأمطرت عيوننا دمعاً حارقاً، لأن الطائر الذي غادر سربنا فجأة لم يكن غيابه من النوع الذي يمكن أن يُلهينا عنه تكاثرنا، أو تُنسينا فيه وفرة الهموم والاهتمامات أو المشاغل: إنه الفنان «حمودة» الذي ظل دوماً الوحيد بيننا الذي يعرف كيف يفتح في جدار أحزاننا نوافذ للفرح ويرسم شروخ أرواحنا بما في أطراف أصابعه من صلصال الإضحاك، وفي دمه من فضة، وفي لسانه من بداهة التنكيت، لذلك كان حزننا هذه المرة أكثر حزناً، وكانت فجيعتنا أكثر فجاعة».

هكذا إذن ترحل أيها العزيز «حمودة» دون سابق انذار أو اشعار، ولايزال الواقع، والواقع العربي تحديداً يحتاج لكثير من السخرية علنا نستوعب مرارته، وقد كنت من بين الرائعين الذين يحولون بأناملهم وبسعة ورحابة مخيلتهم هذه المرارة إلى نكتة تكون كل العزاء الذي ربما قد يكون آخر ما تبقى لنا في ظل عالم بقرن واحد (كوحيد القرن)، يدير دواليبه «عزبيد» بعباءة صهيونية...! يمسك بملء فمه «جهاز التحكم عن بُعد» مختوم بأحرف معتوه يدعى: «U.S.A»!..



# خمسون عاماً على مجزرة دير ياسين

## سجل حافل بالإرهاب والقتل

في التاسع من نيسان ١٩٤٨، اقترفت العصابات الصهيونية مجزرة دير ياسين التي ستبقى شاهداً حياً على سياسة الإرهاب والقتل والتدمير التي مارستها الحركة الصهيونية قبل النكبة وخلالها وبعدها.

خمسون عاماً من المجازر والإرهاب المنظم ضد الشعب الفلسطيني، هي عمر الشتات والنفي، والمعاناة والتبديد، القتل والمجازر الجماعية التي تعرض لها شعب فلسطين والأمة العربية على يد الصهيونية واسرائيل والقوى المتواطئة معهما.

من مجزرة دير ياسين إلى كفر قاسم إلى صبرا وشاتيلا والحرم الإبراهيمي الشريف إلى قانا، سجل لاحدود له من العنصرية والفاشية والنازية لحركة تدعي أنها فوق القانون والبشر.

خمسون عاماً من التوسع والعدوان والإحتلال والتهديد والحروب وصنع أسلحة الدمار الشامل لإبادة الشعب الفلسطيني وإضعاف الأمة العربية والهيمنة على مقدراتها وعرقلة شروط نموها وتقدمها.

خمسون عاماً مضت على مجزرة دير ياسين التي ذهب ضحيتها ٢٥٤ شهيداً معظمهم من النساء والأطفال بناءً على تقرير قدمه ممثل الصليب الأحمر الدولي عن مشاهداته في القرية.

ففي الساعة الواحدة من صباح يوم الجمعة التاسع من نيسان ١٩٤٨ تحركت عصابات المهاجمين من قواعدها حتى تكون في مواقعها المحددة لكل منها في أطراف القرية وفق خطة الهجوم عند ساعة الصفر في الخامسة والنصف من الصباح بعد إحكام الطوق على دير ياسين من جهاتها الأربع.

ويروي رؤرفين غرينبرغ من مهاجمي عصابة شتيرن قائلاً: «لقد قاتل العرب كالأسود وتميزوا بقنص محكم وخرجت النساء من بيوتهن تحت النيران وجمعن الأسلحة التي سقطت من أيدي المقاتلين العرب الجرحى ونقلتها إلى المواقع الداخلية». قامت عصابات «الأرغون» «وشتيرن» بحرق جثث الضحايا وأصر قادة المنظمتين الإرهابيتين على الخروج من دير ياسين بمنهوباتهما وغنائمهما في أسرع وقت ممكن وتسليم القرية إلى رجال الهاغاناه وفق الاتفاق معها. لم تحرك القوات البريطانية ساكناً وهي ترى وقائع المجزرة فيكتب المندوب السامي البريطاني في فلسطين رسالة إلى وزير المستعمرات في لندن بتاريخ ١٢ نيسان يقول فيها: لازالت القرية في أيدي اليهود وأنا أكتب هذه السطور وكنت أردت أن يضرب جنودنا اليهود في دير ياسين ويطردونهم منها ولكن الجيش يقول لي أنه ليس في وضع يمكّنه من القيام بمثل هذا العمل، وبأي عمل قد يؤدي إلى صدام عام مع أي من الطرفين.

لقد كان معظم ضحايا المجزرة من النساء والشيوخ والأطفال حسب اعترافات قائد لواء اسرائيلي «يهوشع اريئلي» الذي كلف بدفن الضحايا حيث يقول: عملنا طول ليلة ١٢-١٣ نيسان وكان من الصعب اخراج الجثث فقمنا بنسف بعض المنازل مع الجثث ودفنا في قبر جماعي حوالي ٧٠ جثة ونسفنا مجموعتين للجثث كل واحد منها حوالي ٢٠ جثة.

هذا هو الإرهاب المستمر والمتواصل ضد شعب فلسطين والأمة العربية ممن يدعون أنهم يرغبون بالمفاوضات والسلام وممن يقدمون أنفسهم للعالم بأنهم ضحايا النازية. استقبلهم الشعب الفلسطيني في أرضه ودياره عندما كانوا يهربون من أوروبا، فجعلوا من الفلسطيني ضحية لأكبر جريمة في هذا العصر.

تترافق ذكرى مجزرة دير ياسين مع يوم الأسير الفلسطيني التي تصادف السابع عشر من نيسان كل عام، هذا اليوم الذي نحتفل فيه بصمود وشموخ وكبرياء الأسرى القابعين في سجون الاحتلال، هذه السجون التي تمثل الوجه الآخر للارهاب الصهيوني الذي لا يقوم على القتل والتدمير فحسب، بل كذلك على القمع والاعتقال والتعذيب حيث تضم زنازين الفاشست الجدد الآلاف من المعتقلين السياسيين الفلسطينيين الذين يعانون كل أنواع الظلم والمعاناة.

نتذكر في هذه المناسبة أسرانا الصابرين الذين حولوا السجون والمعتقلات والزنازين إلى مدارس لتعلم الكفاح والنضال من أجل استرداد الوطن واستعادة الحقوق.

نتوجه بالتحية إلى أسرانا ومعتقلينا وندعو الجميع إلى القيام بأوسع حملة عربية وعالمية لإطلاق سراحهم وفضح الممارسات الصهيونية الفاشية التي تمارس بحقهم.

أثناء كتابة هذه السطور وردنا خبر من رفاقنا في قطاع غزة حول قيام أجهزة أمن السلطة الفلسطينية باعتقال عدد من رفاقنا في النصيرات ورفح اثر توزيع بيان في القطاع صادر عن الجبهة الشعبية يحمّل اسرائيل مسؤولية اغتيال الشهيد محيي الدين الشريف ويدعو إلى تركيز الجهود والطاقات لمواجهة التناقض الرئيسي مع الاحتلال.

إن الشعب الفلسطيني لم يعد يواجه سياسة الاعتقال والقمع الاسرائيلي فحسب، بل بات يواجه قمع واعتقالات السلطة الفلسطينية التي تستهدف كم أفواه الناس ومنعهم من التعبير عن ارادتهم وقناعاتهم ■■



المشرف العام
د. ماهر الطاهر
رئيس التحرير
نصار ابراهيم
سكرتير التحرير
خليل جنداوي
مدير الادارة
محمد خير الاسعد
المدير الفني
زهدي العدوي

### ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ل.ل/ سوريا ٢٠ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلسا/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارت ١٠ درهما/ الجزائر ١٥دينارا/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالا/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهما/ أمريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

### الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد.
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ آسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا.
☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية
شتورا ـ لبنان.
رقم الحساب AC.NO.220094
☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

### المكاتب

المقر الرئيسي: دمشق ـ مخيم اليرموك
هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
فاكس: ٦٣٢٥٤٨٦
٣٣٢٩٣٢٦
ص.ب: دمشق ـ ٣٠١٩٢
عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٠٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠



# الهدف AL-HADAF

«الهدف» ١٩ نيسان ١٩٩٨ ـ العدد ١٢٧٩
السنة الثامنة والعشرون ـ الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1279 - 19/4/1998

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل اسبوعين


## كلمة

يوم اغلاق العدد، وردنا الخبر.. خبر اطلاق سراح أحمد قطامش وخالد باكير وعلي جرادات... والثلاثة هم من المعتقلين الاداريين في السجون الاسرائيلية، أي لم تستطع المحاكم ادانتهم فقضت بسجنهم لفترة ستة أشهر، ما إن تنتهي حتى تمدد لستة أخرى وهكذا دواليك.. فالمناضل أحمد قطامش مثلاً يعتبر من أقدم المعتقلين الاداريين حيث يرزح في السجن منذ العام ١٩٩٢ بتهمة الانتماء وقيادة تنظيم الجبهة الشعبية في الداخل، ورغم أن الجلاد لم يقدم دليلاً واحداً لادانة قطامش ـ كذلك الأمر مع رفاقه ـ إلا أنه في النهاية تذرع كما هي العادة بـ«أسباب سرية تمس أمن الدولة».

الصدفة التي لا يجوز القفز عنها هي ان يوم اطلاق سراح مناضلينا الكبار، ترافق مع اقتراب يوم الأسير الفلسطيني الذي سيمر غداً أو بعد غد... وهذا ما يجعل فرحتنا العظيمة بخروج رفاقنا إلى الحرية تختلط بمشاعر التضامن والاكبار والاجلال لباقي المناضلين الفلسطينيين والعرب الذين مازالوا يدفعون من أعمارهم وحريتهم ضريبة عروبة واستقلال فلسطين.. ولنؤكد على ضرورة استمرار النضال حتى اغلاق هذا الملف الشائك الذي يمس حياة عشرات الآلاف من أبناء شعبنا وأمتنا.

ويبدو أن السلطة الفلسطينية لم تستطع أن تفوّت هذه المناسبة دون تهنئة خاصة تليق بها فكانت «هديتها» ببساطة هي استمرار حملة الاعتقالات في صفوف شعبنا على خلفية اغتيال المناضل محيي الدين الشريف. كان آخرها ما وردنا اليوم عن اعتقالات ومداهمات طالت بعض رفاقنا في الداخل وتهمتهم الوحيدة هي أن الجبهة الشعبية أصدرت بياناً دعت فيه «كل الوطنيين المخلصين لقضية الوطن والشعب للوقوف بمسؤولية أمام ما حدث، ومغادرة المواقف السلبية غير المبالية». وليضيف البيان: «ان المسؤول الأول عن اغتيال الشهيد محيي الدين الشريف هو العدو الاسرائيلي فالاحتلال هو أساس البلاء، بغض النظر عن الأداء والوسائل التي تتولى تنفيذ جرائمه....».



## موضوع الغلاف:

المسار الفلسطيني:
طريق السلام المسدود
ومستنقع التفاصيل
والعودة للثوابت

## في هذا العدد

# دمعة

نضال ابراهيم

حزينة مرايا هذا اليوم!

فماذا يمكن للإنسان أن يكتب بعد أن قضى ليلة وهو يتنقل بين بيوت دير ياسين، ركضت مع الذاكرة خمسين عاماً للوراء في ومضة عين. أشجار اللوز والكرمة تنشر ضفائرها الخضراء فتراقص الربيع. اصوات الأطفال تحملها ريح البراءة. صهيل فرس تدق الأرض بحوافرها بانتظار فارسها الأسمر الذي باع اساور زوجته وذهب ليعود «بالإنجليزية» وعشرين طلقة تتوهج «كشراب النار».

كان الفجر هادئاً هنا صبيحة التاسع من نيسان، فيما دوي طلقات يأتي من بعيد، فالقسطل لازالت تقاوم.

كانت نحنحات الرجال تتجاوب على أطراف البلدة، كل يحضن بارودته ويحدق في عتمة الليل.

هبت نسمات باردة تغسل الوجوه الحبيبة، جو ثقيل ومزاج طيب: ـ يا ولد هل تقدر على حمل البارودة؟

ـ ولو يا عم محمد!

في هدأة الصبح توقف الكلام فذئاب شتيرن والأرغون والهاغاناه تتقدم.

ابتدأت الملحمة.. والتحم الشباب بالأرض والحجارة واشجار الزيتون وغنت «الإنجليزية» فجاوبتها «الإيطالية».. كان الرجال عند الوعد، قاتلوا وعيونهم تبحث في الأفق العربي البعيد، لعل فارساً يعبر الصحراء برشفة ماء.. لا.. بمشط من الرصاص الجيد وليأخذ مقابله ضفائر فاطمة، احترق اللحم على البواريد وبقيت الصحراء على صمتها... تطايرت أشلاء المنازل والأطفال ودارت رحى المجزرة اللامتكافئة، في ذلك اليوم استشهدت بلدة بكاملها، بيوتها ناسها أشجارها فمن ينسى دير ياسين، رمز البطولة وشاهد العار العربي..

على ذلك التل المطل على القدس شرقاً، وعلى القسطل غرباً، وعين كارم جنوباً، ولفتا شمالاً.. هنا دير ياسين، مع كل ربيع تتعربش الأعشاب البرية تتسلق بقايا جدار، وعلى جنبات التل المهمل تتناهى ضحكات أطفال قرب دالية تتراقص عند العصر لاتزورها سوى نحلة أو فراشة عابرة.

من يصل يوماً إلى ذلك التل عليه أن يخلع حذاءه بهدوء، فمع كل خطوة سيمر قرب شهيد، تتناثر حوله بعض الخراطيش الفارغة.

ليثرثر من يشاء عن السلام، ولكن من ينسى دير ياسين؟ إنها ذاكرة شعب بكامله، بل أمة أريد لها أن تلم اشلاء شهدائها وتبتسم. أن تغمس اصابعها العشرة في دمائهم وتوقع.. علينا أن نوقع بأننا لم نسمع يوماً ببلدة فلسطينية كان اسمها دير ياسين.

قد يوقع من يوقع وينسى من ينسى، ولكن ماذا عن الفلسطيني الذي يعدّ أطفاله كلما ذهبوا أو عادوا ليتأكد أنه لم يفقد أحدهم في الطريق إلى المدرسة أو حقل القمح أو وهو يطارد الدجاج في باحة الدار.

ياه، خمسون سنة تبدو مسافة طويلة، ولكن تكفي نسمة واحدة لتكشف شوارع البلدة، دورها، محاجرها، ومدرستها، جامعها، أشجارها، باحاتها وفي جنباتها يتوزع الشهداء، كل اصاباتهم في الصدر أو الجبين، ما من طلقة واحدة في الظهر، عائلات بكاملها وكأنها أبت إلا أن تبقى موحدة أليفة حنونة حتى في الموت.

ويبقى الفجر هادئاً في دير ياسين، إلا من رفوف العصافير تتقافز فوق معالم دروبها تأبى أن ترحل، تطير شرقاً وغرباً ثم تعود، وعند المساء تقف صامتة تحدّق في الأفق البعيد.

## الحدث

المسار الفلسطيني

طريق السلام المسدود:

*... يومها ضحك بعض العرب والفلسطينيين حين أطلق شامير عبارته الشهيرة في مؤتمر مدريد: بأنه قادر على جعل المفاوضات تستمر عشر سنين.*

*في الحقيقة كان شامير يعرف ما يقول، بينما الذين ضحكوا لم يعرفوا على ماذا كانوا يضحكون! تجربة سبع سنوات من التفاوض مع إسرائيل تكفي لندرك أن نواظم الفهم الإسرائيلي للسلام تقوم على استخدام وتوظيف مختلف عناصر القوة والضغط لفرض الحل. وعلى هذا يتفق الصقور والحمائم وما بينهما من أجناس الطير الإسرائيلية. فيما اندفع الفريق الفلسطيني باعتبار أن العملية برمتها «صُلحة» يكفيها العاطفة وحسن النية، وضمانة «الشيخ» في البيت الأبيض.*

*أداء المفاوض الفلسطيني راح يغذيه دافع استبطاني بأنه السبب في استمرار الصراع، كونه يصر على التمسك بالحقوق الوطنية الفلسطينية المعروفة وعدم الإعتراف بإسرائيل. وما إن يتنازل عن بعض هذه الثوابت أو معظمها، حتى ترتمي إسرائيل في الأحضان كونها تتلهف منذ خمسين عاماً أو خمسين مجزرة على غرار دير ياسين لتصافح جيرانها ويعم الأمن والسلام.*

# مستنقع التفاصيل والعودة للثوابت

نصار ابراهيم

المواطن الفلسطيني شرب كأس السلام الموهوم حتى الثمالة، ينظر حوله في الوطن وفي الشتات فلا يجد سوى شظايا المأساة المتناثرة والحقوق المهدورة.

ينتفض، يقاوم، يدافع بالكف وبالصدر العاري عن كل شبر من الأرض، يواصل تقديم الشهداء، ومع ذلك تواصل إسرائيل كل يوم سرقة قطعة ارض جديدة واقتلاع الأشجار وشق الطرق، وسرقة المياه، ويقولها أرباب السياسة الإسرائيليون علناً وكل يوم: لا للعودة، لا لتقرير المصير، لا للدولة، لا للقدس لا للسيادة. وماذا بعد ذلك؟

تتواصل اللعبة بجنون، ويصدق الطرف الفلسطيني المفاوض بأنه يخوض مواجهة، ولكن ما العمل إذا وصلت السياسة إلى حدّ الهبل؟!!

تصل الإثارة الإعلامية المجوجة إلى الذروة ونحن نتابع المفاوضات الصعبة والقاسية على مساحة الأرض التي يجب أن تشملها عملية إعادة الإنتشار الإسرائيلية الثانية. وتركض جياد التفاوض بين ٩٪ إلى ١٣،١٪. وهكذا تجري عملية إدخال مصير الشعب الفلسطيني، في خرم إبرة المفاوض الإسرائيلي المسنود بالقوة والغطرسة والعناد عند الثوابت والأولويات الإسرائيلية.

ومادامت العملية تجري ضمن ذات المنطق والسقوف التي تحددها وتحركها إسرائيل كما تشاء، فالنتائج لن تتعدى خطوط هذا الملعب.

والخطورة أن إسرائيل لم تعد تحتل الأرض فقط وإنما باتت تحتل اللغة والعقل والمفاهيم السياسية التي تفاجئنا كل يوم بجديد فدخلت القاموس الفلسطيني... لننظر في هذه التشكيلة: أولويات الأمن الإسرائيلي، Time out الوقت المستقطع روبن كوك زار المنطقة حاملاً أفكاراً وليس مبادرة، ضرب البنية التحتية للإرهاب، إعادة الإنتشار، الطرق الإلتفافية، المعبر الآمن، الولايات المتحدة شريك نزيه، ثم وسيط والآن يجري الحديث عن دور «المسهّل»... الخ.

إذن ليس هناك ما يثير الدهشة مع تصاعد حالة الغضب الجماهيري في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة والبعض يتحدث عن أيام الإنتفاضة القادمة.

الشعب الفلسطيني يقاتل مع إحساس باليتم كما وصف الدكتور إدوارد سعيد، والمعادلات في ذهن المواطن البسيط واضحة، ولاتخدعه الكلمات والتعقيدات اللغوية التفاوضية، إنها تبدأ وتعود لتقف مباشرة أمام جوهر وركائز قضية الشعب الفلسطيني: حق العودة وتقرير المصير والدولة، والقدس، وإزالة المستوطنات والسيادة الوطنية الكاملة، وما دون ذلك هو لغو مؤلم ودام. وكلما تناسى البعض أو حاول القفز عن هذه الحقائق يعيده الدم الفلسطيني، والمعاناة الفلسطينية والغضب الذي تشعله شرارة واحدة إلى حقيقة الصراع.

منذ أيام وأركان السلطة الفلسطينية تناشد الولايات المتحدة الأمريكية لإعلان موقفها من إعادة الإنتشار، وتتوالى الأخبار والإشاعات بأن أولبرايت غاضبة، وروس فشل في مهمته قبيل عيد الأضحى، وكلينتون تعامل ببرود مع نتنياهو اثناء زيارته للبيت الأبيض فرد الأخير بتأليب الكونغرس ضد الأول. فتحركت اوروبا عبر زيارة روبن كوك وموراتينونس، ثم أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان.

والنتيجة: مجرد أفكار غير ملزمة، وغير واضحة، ونفي اي ضغوط ضد نتنياهو وحكومته. الأفكار حملها روبن كوك، وملخصها أو عناوينها:

- استجلاء مواقف الأطراف من نسبة إعادة الإنتشار بحدود ١٣،١٪.
- الإجراءات الأمنية التي على السلطة الفلسطينية اتخاذها لمواجهة «منظمات الإرهاب» الفلسطينية دفاعاً عن أمن إسرائيل ومستوطناتها.
- المفاوضات النهائية.

كان الرد الإسرائيلي واضحاً وصلباً: إعادة الإنتشار ستشمل فقط ٩٪، ثم جرى تسريب معلومة بأن نتنياهو مستعد لإضافة ٣-٤٪ مع بقائها تحت السيادة الأمنية الإسرائيلية.

في ذات الوقت تتسابق الجرافات الإسرائيلية لشق الطرق، وتوسيع المستوطنات ومواصلة تزنير القدس بأحزمة استيطانية كثيفة (غوش عتسيون وإفرات وجبل أبو غنيم على طول الخط بين القدس والخليل، ومعاليه ادوميم إلى الشرق، ومسغاف زئيف في الشمال). مع الإصرار على ضرورة بدء المفاوضات النهائية بعد

إعادة الإنتشار الثانية ودون انتظار المرحلة الثالثة.

كل هذا في ظل إصرار نتنياهو أما المرجعية كما يصر نتنياهو فهي المفاوضات الثنائية، بمعنى رفض أي ضغط امريكي أو تدخل أوروبي أو مصري.

في ظل هذه الحقائق يتصاعد الحديث عن الطريق المسدود، ويواصل الفريق الفلسطيني المفاوض المحاولات اليائسة، أنه يذكرنا بقول رابين «دعهم يركضون حتى يتصببوا عرقاً».

فهو لايكف عن الشكوى وبأن اتفاقات أوسلو على حافة الإنهيار، ويدعم موقفه/ شكواه بالأمثلة الحية:

فهناك ٣٨ بنداً من الإتفاقات غير منفذة، وتشمل تجميد برامج الإستيطان، والإفراج عن أموال الضرائب الفلسطينية، وقضية المعتقلين الفلسطينيين ومرحلة إعادة الإنتشار الثانية التي يجب أن تشمل ٣٠٪ إضافة لموضوع المطار، وميناء غزة، والممر الآمن بين الضفة والقطاع.

ومع ذلك يستمر الطرف الفلسطيني بالإعلان أن نتنياهو هو المسؤول عن تجميد المسار الفلسطيني. نعم وماذا بعد؟

تعود الكرة وتدور وهدفها تحقيق تنازلات فلسطينية جديدة.

أمريكا تدرك هذه الحقيقة ومع ذلك تواصل دعم نتنياهو، أوروبا تدرك ذات الحقيقة ولاتخرج عن سكة القطار الأمريكية، الأمم المتحدة تناشد وترجو لا أكثر وتكيل بمكيالين ثم ثلاثة.

أما نتنياهو فهو ثابت وواضح، وهناك من يتوقع بأن يعاد انتخابه مرة ثانية. فقد أثبت أنه شديد المراس في الدفاع عن مصالح اسرائيل التي تعني ضرب مصالح العرب والفلسطينيين.

والآن عودة للشارع الفلسطيني الذي يعيش أيام غليان واشتباكات متواصلة مع الإحتلال، وغضباً عارماً تجاه السلطة وممارساتها وفسادها، ورفض وظيفتها في تكريس الواقع وفق الشروط الإسرائيلية، مقابل تأجيج القلق وتضييق الضغط على عنق المواطن الفلسطيني اقتصادياً وأمنياً، ومعنوياً.

في غمرة هذه الحالة لايمكن المرور بعفوية على حادثة هزت وجدان الشارع الفلسطيني وتمثلت بجريمة اغتيال المناضل يحيى الدين الشريف من حركة «حماس». الأمر الذي يدفع للسؤال لماذا الآن؟

المثير للدهشة الطريقة التي تعاملت بها السلطة مع المسألة، ومع أن أصابع الإتهام ومهما كانت الملابسات تشير دائماً للإرهاب الصهيوني، إلا أن حالة الإرتباك وتبرئة إسرائيل من مسؤوليتها، أمر يدعو للإدانة. خاصة وأن ردود فعل السلطة لم تقف حدودها عند مستوى الإرتباك، وإنما ذهبت لما هو أبعد بكثير على شكل حملات اعتقال ومداهمة واسعة النطاق شملت مئات المواطنين والمناضلين، ودفع الشعب الفلسطيني إلى حافة الإحتراب الأهلي وتهديد وحدته الداخلية.

فهل هي مناسبة لتوجيه الرسائل ولأكثر من جهة. رسائل من نوع نحن نتصدى لقوى المعارضة الفلسطينية ونحارب «الإرهاب الفلسطيني بكفاءة»؟



الدخول في هذه الدائرة الخطرة والمميتة يعني أن السلطة تستمر في سياسة انعدام الخيارات باستثناء مواصلة السير في لعبة المفاوضات مهما كان الثمن المدفوع فلسطينياً غالياً وفادحا.

والحقيقة أن هذا الخيار قد أثبت فشله، فلا شيء يشبع إسرائيل ويردع غرورها سوى مجابهتها وعند القضايا الأكثر جوهرية، بمعنى، أن يقف الطرف الفلسطيني بوضوح نهائي على اساس أن لامفاوضات ولا إتفاقات ولا عملية سلام بدون الإقرار الواضح بحقوق الشعب الفلسطيني التي تتركز في حق العودة وتقرير المصير والدولة وعاصمتها القدس.

وأي سياسة لايكون هذا اساسها وموجهها هي رهان خاسر ودخول طوعي في مساومة لامشروعة وخادعة مع إسرائيل التي تواصل ترتيب الميدان وفرض شروطها.

هذا معناه قلب المعادلة بعد تجريب سياسة تفتيت وتشريح الحقوق والأرض والسيادة الفلسطينية حيث تحولت العملية إلى مقايضة الدم والأرض والتاريخ والحقوق بعبارات غامضة وتفاصيل ليس لها نهاية أي مواصلة الغوص في رمال التفاصيل الإسرائيلية والمفاصلة على ٣-٤٪ فماذا عن الـ ٩٠٪ الباقية. وإذا كان ثمن اعادة الإنتشار عن ١٪ يحتاج لكل هذا الجنون، فما هو الثمن الذي سيدفع عند الوصول لمناقشة حق العودة، وتقرير المصير، والدولة، والقدس، وإزالة المستوطنات، والسيادة...؟ أم أن الهدف يتلخص في عدم الوصول أصلاً لهذه التفاصيل؟ وكيف يمكن إجبار شيطان التفاصيل للتوقف عن التهام الحقوق الوطنية الثابتة؟ الخيار الممكن لمواجهة المأزق والجدار المسدود لن يكون إلا بمواجهة التعنت الإسرائيلي بعناد ومقاومة فلسطينية أولوياتها ومرجعياتها هي بالتأكيد غير ما تقوله إسرائيل وتدعمه أمريكا. ومنطق هذا الخيار يقوم على إعادة ترتيب أولويات السياسة والممارسة، والإدراك العميق بأن الحقوق تنتزع ولا توهب، وهذا غير ممكن إلا إذا أعيد الإعتبار فكرياً وسياسياً وعملياً لفكرة جوهر الصراع ضد المشروع الصهيوني، وعدم التعامل مع المسائل بمنطق اللاخيار أمام مطالب الأمن الإسرائيلي وتشريع المستوطنات.

هذه العملية بدون شك لها شروطها التي أولها عدم وضع وحدة الشعب الفلسطيني وأمنه الداخلي وحق قواه الوطنية في النضال موضع اختبار أو مساومة. وإعادة مراجعة حقيقية لسياسة اللاخيار، واستبدالها الجذري بخيار الصراع سواء على مستوى الحقوق الوطنية المحورية كثوابت وشواخص، أو على مستوى المقاومة الشعبية المنظمة والميدانية ضد الإستيطان والإرهاب والحصار الصهيوني وإعادة اللحمة بين الشعب والحركة الوطنية الفلسطينية بكافة تياراتها، هذا يستدعي تخلي السلطة عن عقلية ومنهج الشرطي ونبذ سسياسة الإحتواء أو الإسترضاء لإسرائيل، والتصرف كقوة مواجهة ضد سياسات الإحتلال بهذا تعطي لنفسها شرعية وطنية، وما عدا ذلك هي شرعية فاقدة لأسسها مهما ادعت ومهما غاصت في النقاشات والسجالات.

هنا تتبدى وظيفة ودور قوى المعارضة التي لازالت تدور في دوامة الأزمة والتشتت. فيما الشارع الفلسطيني يخوض الصراع باللحم والدم. عليها أن تحمل مسؤولية المقاومة الفعلية وبكافة الأشكال وهكذا تعيد التماسك بين الحركة الشعبية والقوى المنظمة في الميدان.

وأخيراً العودة عن الخيار البائس يا وحدنا، إلى الحاضنة العربية التي أثبتت الأحداث والتجربة أنها ومهما كانت ضعيفة فإنها تبقى قوة اسناد لايجوز في مطلق الحالات التخلي عنها تحت أية ذريعة كانت ولايغيب عن البال لحظة واحدة أن فصل القضية الفلسطينية عن عمقها ومضمونها وأبعادها العربية هو هدف إسرائيلي أمريكي صافٍ.

وبكلمات قليلة نحن بحاجة لإعادة نظر جذرية في استراتيجية العمل السياسي الفلسطيني وصياغتها على أسس وضمن رؤية شمولية مرجعيتها باستمرار المصالح الوطنية والقومية العليا، وقطع الطريق على محاولات التقدم الإسرائيلي على مختلف المستويات ■■

# الرفيق جورج حبش يوجه رسالة لمؤتمر التضامن مع الاسرى العرب في السجون الاسرائيلية

فيما يلي نص الرسالة التي وجهها د. جورج حبش الى مؤتمر التضامن مع الاسرى العرب في السجون الاسرائيلية، والذي سيعقد في بيروت بمناسبة اسبوع التضامن مع الأسرى من ١٧-٢٢ نيسان الجاري:

الاخوات والاخوة الأعزاء

تحية طيبة وبعد،

في البداية وقبل أي شيء، أتوجه بالتحية والاعتزاز للأسرى الأبطال في جميع المعتقلات والسجون ومراكز التوقيف ومعسكرات الاعتقال الصهيونية في فلسطين المحتلة والجنوب اللبناني المقاوم.

أتوجه إليهم معانقاً ومصافحاً كل واحد باسمه كاملاً، لأنهم حقاً رمز مقاومتنا الأكثر توهجاً وحضوراً عند خط الواجب الأول.

كما أتوجه بالتحية والاعتزاز لأمهاتهم وآبائهم الذين وهبوا هذه الأمة بعضاً من كرامتها وكبريائها.

تحية لأطفالهم الذين كبروا في لهيب المأساة وعيونهم تنتظر عودة الوالد الذي يرسم حدود الحلم والأمل لوطن حر ومستقبل أجمل.

تحية لزوجاتهم وشقيقاتهم وأشقائهم القابضين على جمر الألم بانتظار يوم الحرية القادم.

الاخوات والاخوة

في هذه الأيام حيث تعصف رياح الاحباط والتراجع، يتسابق المهزومون من داخلهم لعقد الاتفاقات والصفقات مع الاحتلال الصهيوني في الخفاء والعلن.

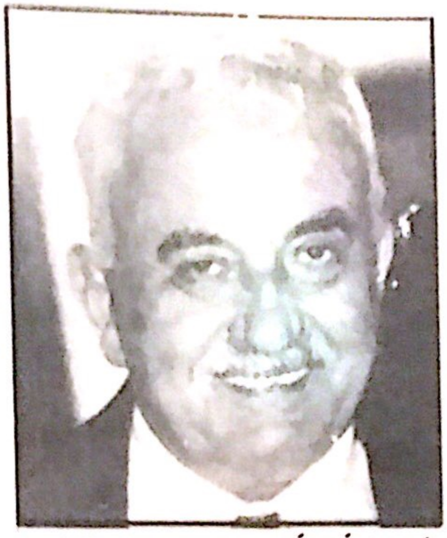
اتفاقات وصفقات أقل ما يمكن وصفها أنها تتنكر للتاريخ والأهداف والحقوق القومية والوطنية العليا، بالقدر الذي تتنكر للتضحيات الغالية التي قدمتها الأمة العربية دفاعاً عن كرامتها وحريتها وسيادتها كاملة.

في مثل هذه المناخات يرتقي صمود ومعاناة الأسرى البواسل ليصبحوا التجسيد الحي والملموس لقيم الحرية والكرامة واستمرار المقاومة ورفض الانصياع لارادة الاحتلال ومشاريعه التصفوية. التجسيد الحي لمعاني وابعاد الاشتباك التاريخي الشامل مع المشروع والأطماع الصهيونية.

إنني أتصور في مثل هذه اللحظات مدى الألم والغضب والانفعال الذي يعتمل في صدور وعقول آلاف الأسرى في الزنازين الانفرادية وأقبية التحقيق وخلف الجدران الباردة والأسلاك الشائكة في زمهرير الشتاء ولهيب الصيف.

أتخيل المعنى الهائل الذي يكثفه الواحد منهم وهو يقف وحيداً في مواجهة الجلادين الصهاينة إلا من عقل يعمل وجسد يتحدى وارادة ترفض أن تساوم من اغتصب الوطن واستباح الطفولة.

معادلة مذهلة في بساطتها وهائلة في أبعادها ودلالاتها. إنني أعرف وألمس ما معنى أن ينزف



الأسير قهراً ودماً وإنسانية مع كل إشراقة شمس وغروبها، ومع ذلك تبقى صرخة الحرية الآتية من الأعماق لا للمساومة على حرية الوطن والذات، لا، كبيرة واسعة وممتدة على مساحة الوطن والروح بكاملها.

بهذا المعنى أيها الاخوة والأخوات قلت إن الأسرى هم رمز كرامتنا وعنفواننا وإنسانيتنا، وأيضاً العنوان المتوهج الذي يضيء عتمة العجز والصمت العربي والدولي المريب، كما يكشف بؤس وتهافت أولئك الذين يفاوضون ويوقعون الاتفاقات مع الاحتلال دون أن يقفوا ولو لمرة واحدة بصورة جدية وحاسمة أمام ملف الأسرى في السجون الصهيونية.

فعن أي سلام يتحدثون والآلاف من خيرة أبناء شعبنا الفلسطيني واللبناني والعربي يمزق صرير انغلاق أبواب الزنازين أعماقهم كل يوم في سجن عسقلان وبئر السبع والخيام ومجدو وغيرها.

في مثل هذا اليوم، يوم التضامن مع الأسير العربي في السجون الصهيونية، يصبح كل واحد منا، أفراداً ومسؤولين وأحزاباً وأنظمة ومؤسسات إنسانية وحقوقية ودولية أمام ضميره وواجبه الأول مباشرة في دعوة أو صرخة للفعل الواضح والكثيف لإنهاء هذه المأساة والتصدي لما تقوم به اسرائيل من اغتيال جسدي وفكري ونفسي لآلاف الأسرى في محاولة لكسر إرادتهم وتدمير إنسانيتهم وحقهم الطبيعي في الدفاع عن حقوقهم الوطنية والقومية الأمر الذي شرعته وكفلته بوضوح الأعراف والمواثيق الدولية والإنسانية.

لتكن في هذا اليوم واجبات الجميع واضحة إزاء أبطالنا الأسرى، فحريتهم من حرية الوطن، وكرامتهم من كرامة الأمة، فلا سلام مع استمرار الاعتقال والتنكيل بأبنائنا وبناتنا.

ومن يعتقد أن أمن اسرائيل يمر عبر المساس بأمن أبناء أمتنا عرباً وفلسطينيين مخطىء وواهم، بالقدر الذي يخطىء بالمطلق من يعتقد أن أمن اسرائيل يتأمن بالقفز عن حقوق الشعب الفلسطيني كما تنص عليها قرارات الشرعية الدولية (على الأقل) ممثلة بحق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وبسيادة فلسطينية كاملة.

أو بالقفز عن تحرير الجنوب اللبناني كاملاً من الاحتلال وتنفيذ القرار ٤٢٥ بدون قيد أو شرط، وبالانسحاب الكامل والشامل من الجولان السوري المحتل.

على هذا الأساس إنني أتوجه بالنداء إلى الجميع لوضع قضية الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني على رأس جدول الأعمال.

أتوجه إلى الجامعة العربية لتبني قضية الأسرى وتحويلها لعنوان مستمر ومعركة متواصلة.

أتوجه إلى الدول العربية لتحمل هذه القضية في كل المحافل.

أتوجه إلى كل القادة العرب ليتحملوا مسؤوليتهم كاملة ويتبنوا قضية الأسرى العرب في السجون الصهيونية في المؤتمرات القومية والاقليمية واللقاءات الثنائية.

أتوجه إلى الدول الإسلامية لتقوم بواجبها تجاه هذه القضية الانسانية والسياسية.

أتوجه للامم المتحدة ومجلس الأمن ليلزما اسرائيل بالانضباط للمواثيق والأعراف الدولية.

أتوجه للبرلمانات ونقابات الحقوقيين ولجان الدفاع عن حقوق الانسان والصليب الأحمر في كل دولة من دول العالم لتقوم بواجبها لحماية أسرانا والضغط المستمر لإطلاق سراحهم.

أتوجه للقوى والأحزاب الفلسطينية والعربية لتحول قضية الأسرى إلى عنوان صراع مستمر ضد الاحتلال الصهيوني وممارساته.

وأخيراً أتوجه إلى أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج للدفاع عن أحد أهم عناوين كرامتهم ومقاومتهم للهجمة الامبريالية الصهيونية.

ليكن السابع عشر من نيسان يوماً للتعبير عن التضامن والغضب الشعبي العربي الشامل تحت شعار موحد «الحرية للمعتقلين العرب والفلسطينيين من السجون الاسرائيلية».

في النهاية أكرر تحياتي وقبلاتي لجميع المعتقلين الأبطال الذين تشكل مأساتهم وعذاباتهم جزءاً من ضريبة الصراع ضد المشروع الصهيوني.

التحية لذويهم الصابرين.

المجد والخلود للشهداء الأبرار.

المجد للمعتقلين البواسل في فلسطين والجنوب اللبناني.

وإلى الأمام على دروب الحرية والاستقلال.

أخوكم د. جورج حبش

# الرفيق جورج حبش يستقبل المفكر الفلسطيني عزمي بشارة



استقبل الرفيق جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوم ١٩٩٨/٤/٣ وبحضور الدكتور ماهر الطاهر وأبو علي حسن عضوي المكتب السياسي والرفيق نصار ابراهيم عضو اللجنة المركزية. المفكر العربي الفلسطيني الدكتور عزمي بشارة والذي كان يقوم بزيارة لسوريا بدعوة من كلية الآداب في جامعة دمشق للمشاركة في ندوة ضمن اطار الأسبوع الثقافي السنوي الذي يقيمه قسم الفلسفة وعلم الاجتماع في الجامعة.

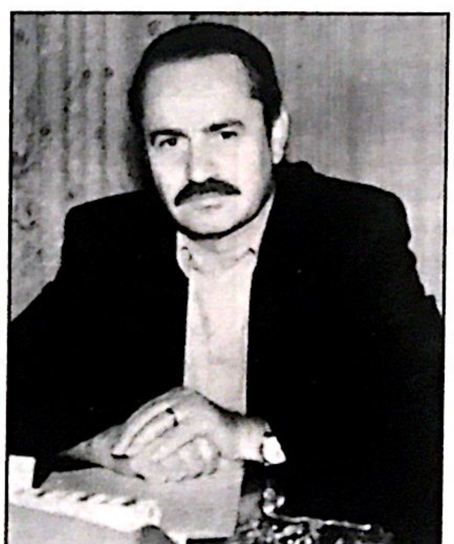
دار البحث خلال اللقاء حول تطورات الأوضاع السياسية على الصعيدين الفلسطيني والعربي.

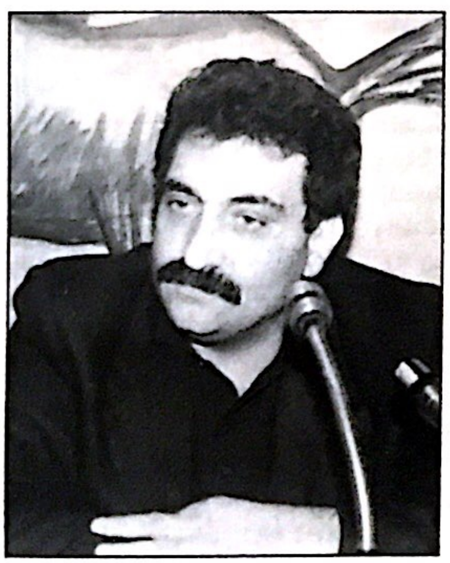
وقد أكد الجانبان على رفض المناورات الاسرائيلية حول اعادة الانتشار في بعض مناطق الضفة الفلسطينية، وكما أكدا أن لا حل ولا سلام بدون استعادة الحقوق الوطنية الكاملة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

كما بحث الجانبان أوضاع الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ونضالات أبناء شعبنا هناك.

وتطرق البحث إلى مناورات اسرائيل حول مسألة الانسحاب المشروط من جنوب لبنان، حيث أكد الدكتور جورج حبش أن ما تستهدفه اسرائيل هو محاولة احداث فتنة في لبنان ومحاولة فصل المسار اللبناني عن المسار السوري لإضعاف لبنان وسوريا.

# الرفيق أبو علي مصطفى يستقبل الدكتور عزمي بشارة





استقبل الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في دمشق يوم ١٩٩٨/٤/٤ السيد عزمي بشارة بحضور الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة.

دار البحث خلال اللقاء حول أوضاع الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ والأوضاع على الساحة الفلسطينية والعربية.

وقد أكد الجانبان وحدة الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده لاستعادة كامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

ومن جانبه أكد الدكتور عزمي بشارة على أهمية استعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية لمجابهة المخاطر المحيطة بالشعب الفلسطيني.

ومن جانبه أكد أبو علي مصطفى أن لاسلام على أساس اتفاقيات أوسلو التي أوقعت أفدح الأضرار بالنضال الفلسطيني، بل لابد من العودة إلى قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

كما بحث الجانبان في النشاطات التي يمكن القيام بها في الذكرى الخمسين لاغتصاب فلسطين داخل الوطن المحتل وخارجه.

## (خمسون عاماً من النكبة) ندوة في قاعة غسان كنفاني

أقامت لجنة الدفاع عن حق العودة ندوة بعنوان «قراءة في تقرير المفوض العام لوكالة الغوث» وذلك مساء يوم الخميس الواقع في 2 نيسان 98 في قاعة الشهيد غسان كنفاني هذا وقد أدار الندوة الرفيق معتصم حمادة عضو لجنة المتابعة في لجنة حق العودة. حيث تحدث في الندوة كل من الأخوة د. عدنان عبد الرحيم حيث تحدث حول عنوان التعليم في الإنروا والاخ سليمان الدباغ والذي تناول القراءة في التقرير والأخ أحمد يونس والذي تناول قراءة في الجداول.

وأكد الأخوة المتحدثون عن أهمية التقرير السنوي الذي يقدمه المفوض العام باعتباره وثيقة رسمية تتعرض لأوضاع اللاجئين في مناطق تواجدهم الرئيسة والخدمات التي تقدم لهم والصعوبات التي تواجه عمل الانروا كما واجمع الأخوة المتحدثون على المصاعب التي تعانيها الانروا. حيث تأتي الازمة المالية في مقدمة هذه المصاعب وكذلك الإجراءات الإسرائيلية والتي تتمثل في سياسة الانحراف ومنع التجول وقطع الطرق واعتقال موظفي الانروا أثناء تأدية واجباتهم الأمر الذي يزيد من معاناة اللاجئين.

وكذلك اجمع المتحدثون على النقص الحاد في الموازنة والذي أثر سلباًعلى الخدمات التي تقدم لمجتمع اللاجئين بالاتجاهين الافقي والعمودي. وكذلك فإن سياسة التقليصات التي انبعتها الوكالة منذ سنوات عدة قد أضرت باللاجئين وقللت من مستوى الخدمات التي تقدم. كما أنها حرمت ما يزيد عن ٩٠٪ من اللاجئين من الخدمات الأساسية التي كانت تقدم سابقاً.

إن الخدمات التي كانت تقدم للاجئين تأثرت سلباًمن جراء العملية السلمية سواء تقدمت (العملية السلمية) أو تعثرت.

كذلك تحدث الأخوة حول سياسة الهدر والفساد والقضايا الإدارية والتي تحتل ما يزيد عن ثلث الموازنة العامة.

وأكد الاخوة على ضرورة تشكيل لجان محلية واقليمية من اللاجئين لمتابعة ومراقبة عمل الانروا. كما هي التجربة في الاردن. حتى تبقى الانروا قائمة على تقديم الخدمات للاجئين باعتبارها الشاهد الدولي على مأساة اللاجئين الفلسطينيين. كما أكد التقرير ان لا حل للانروا إلا بعد حل قضية اللاجئين. كما خلصوا إلى العديد من الاستخلاصات الهامة.

وفي الختام جرى نقاش مع الاخوة الحضور حول العناوين المثارة.

## ندوة جماهيرية في مخيم خان الشيح

بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين ليوم الأرض.. أقامت منظمة الجبهة الشعبية في خان الشيح سهرة سياسية... تحدث فيها الرفيق عبد الحميد من قيادة فرع سوريا، وقد تناول فيها العناوين التالية:

١ـ مغزى ومعنى إحياء هذه الذكرى في كل التجمعات الفلسطينية خاصة في الشتات، وكيف تعبر عن وحدة الشعب الفلسطيني في كل أماكن اللجوء والشتات والوطن.

٢ـ أوسلو والمأزق الذي وصل إليه، وما تسبب به من مخاطر وتحديات مست ماضي، وحاضر، ومستقبل الشعب الفلسطيني.

٣ـ ما يجري الحديث عنه الآن من رغبة أمريكا في إطلاق مبادرة جديدة لإحياء عملية السلام والأهداف والمغازي التي ترمي إليها.

٤ـ ما هو واجب الفلسطينيين في الشتات وكيف يحافظون على هويتهم الوطنية المستهدفة من قبل المشاريع المعروضة لتصفية القضية الفلسطينية.

وقد تم إجراء حوار مع الحضور في سياق العناوين التي تم تناولها وقد طالبوا، أن لا تكون مثل هذه الندوات والسهرات بالمناسبات فقط، بل استمرارها كجهد تعبوي يحافظ على يقظة العقل الفلسطيني والذاكرة الفلسطينية.

## بيان لحركة حماس في الوطن المحتل أبطال القسام يتنافسون على الشهادة وليس على المناصب

أكاذيب السلطة محاولة مشبوهة لتبرئة العدو ومنع الرد على الجريمة

في جريمة جديدة أقدمت سلطة الحكم الذاتي وأجهزتها المخترقة على تلفيق رواية كاذبة حول جريمة اغتيال الشهيد البطل محيي الدين الشريف يوم الأحد قبل الماضي.

إن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تستنكر وترفض هذه الأكاذيب وتعتبرها محاولة للإساءة لجهاد حركة حماس وشهدائها وتضحياتها وإساءة لشعبنا ومقاومته الباسلة.

إن هذه الافتراءات والاختلاقات والكذب الواضح من سلطة الحكم الذاتي ليست أكثر من محاولة مكشوفة لتبرئة نفسها وتسويغ جرم مطاردة رموز المقاومة واعتقالهم، وهم الذين يحظون بالتفاف جماهير شعبنا وأمتنا من حولهم كما هي محاولة لتبرئة ساحة العدو الصهيوني ومحاولة الحيلولة دون الرد على الجريمة التي استهدفت واحداً من أبطال كتائب القسام، ومجاهداً وضع روحه على كفه طوال السنوات الثلاث الماضية وظل يطلب الشهادة رافضاً مغادرة فلسطين واعتزال ساحة الشهادة ولم تغره المناصب التي أدارت رؤوس مناضلين تقاعدوا منذ سنوات ووضعوا خبراتهم تحت تصرف العدو.

لقد جاءت الاعتقالات السريعة في صفوف من تزعم أجهزة السلطة أنهم كانوا يحيطون بالشهيد الشريف والحديث عن كشف مخازن للأسلحة والمتفجرات في زمن قياسي، جاءت لتفضح كذب ادعاءات السلطة التي عودتنا على فبركة اعترافات للمعتقلين في سجونها وما قصة المحاولة المزعومة لاغتيال عرفات عنا ببعيدة، والتي لم يظهر لها أثر بعد اعتراف الذين نسبت لهم، كما لم يجر لهم حتى اليوم أي محاكمة على غرار محاكمات السلطة السريعة.

إننا نرى في مزاعم السلطة محاولة يائسة لانقاذ اتفاقياتها الهشة التي يهدد نتنياهو بسحقها إذا ردت حركة (حماس) على جريمة اغتيال الشريف.

إن حركة حماس التي تواصل أجهزتها المختصة تحقيقاتها حول ظروف وملابسات جريمة الاغتيال تؤكد ما ورد في بيانها السابق حول مسؤولية حكومة وأجهزة واستخبارات العدو عن اغتيال الشهيد البطل محيي الدين الشريف، فيما تتحمل السلطة جزءاً من المسؤولية عن هذه الجريمة التي وقعت على أراضي خاضعة لها وعلى بعد مئات الأمتار من مقر أجهزتها الأمنية في رام الله والحركة لا تريد الذهاب أبعد من ذلك بانتظار نتائج التحقيق.

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

فلسطين ١٩٩٨/٤/٦م

## نشاط رياضي

بمناسبة ٣٠ آذار يوم الأرض أقام نادي الشهيد غسان كنفاني دوري طاولة تنس «دوري أفراد» حيث شارك فيه ٨ لاعبين هذا وقد احتل المركز الأول اللاعب بلال شموط والفائز الثاني فراس محمود. وقد تم توزيع ميدالية فلسطين للفائز الأول وميدالية ناجي العلي للفائز الثاني وذلك يوم الجمعة الموافق ٩٨/٤/٣ في نادي غسان كنفاني.

# ندوة في مخيم خان الشيح
## الرفيق أبو أحمد فؤاد: نرفض أن يكون الحوار الوطني لتقديم التنازلات لمصلحة العدو

بمناسبة مرور ٢٢ عاماً على يوم الأرض أقامت القيادة الوحدة للجبهتين ندوة سياسية في مخيم سبينة في مقر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقد حضر الندوة عدد من أبناء المخيم وفي بداية الندوة وقف الجمهور دقيقة صمت حداداً على أرواح الشهداء الأبرار ورحب الرفيق أبو لؤي مسؤول الموقع بالرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية الذي تحدث في الندوة عن آخر التطورات السياسية في الساحة الفلسطينية. وأكد الرفيق أن الاحتفال بيوم الأرض يقام كل عام في كل أماكن تواجد الشعب الفلسطيني تعبيراً عن تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه ورفضه المطلق لكل المخططات الصهيونية التوسعية التي تستهدف سلب الأرض من أصحابها الفلسطينيين سواء في فلسطين عام ١٩٤٨م أو في مناطق الضفة وقطاع غزة حيث مخطط الاستيطان القائم على أساليب التوسع لازال يستهدف الأرض والشعب الفلسطيني برمته داخل الوطن وخارجه وأضاف الرفيق أن الاتفاقيات التي جرى التوقيع عليها بين قيادة المنظمة وحكومة العدو لم تضع حداً للتوسع الصهيوني ونهب الأرض بل هناك ما يؤكد أن مساحة الاستيطان بعد توقيع اتفاقية أوسلو زادت واتسعت، الأمر الذي يؤكد أن مخطط العدو لم يتوقف لسبب بسيط هو أن المعركة في أساسها تتعلق بالأرض.

وأشار الرفيق إلى أن يوم الأرض سيظل يوماً في ذاكرة شعبنا كدليل على جوهر العدوان واستهدافاته النهائية، وفي نفس الوقت رمزاً لقدرة شعبنا على العطاء والتضحية وأضاف الرفيق أن خطورة استهدافات الامبريالية والصهيونية للقضية الفلسطينية. دفعت بالجبهة الشعبية والديمقراطية إلى طرح عنوان الحوار الوطني الشامل من خلال مبادرتيهما على قاعدة رفض الاتفاقيات المذلة، والخروج من دخول التسوية التي فرضت على شعبنا الفلسطيني واعادة ترتيب البيت الفلسطيني في تقرير مصيره فوق ترابه الوطني والحوار لا يعني بالنسبة لنا التساهل في تقديم التنازلات لمصلحة التسوية أو الموافقة على أوسلو وافرازاته بل المطلوب هو حماية القضية من كل ما يهددها بالتصفية من خلال الالتزام بالبرنامج الوطني الفلسطيني والتمسك بالقرارات الدولية.

وتطرق الرفيق إلى الواقع العربي وضرورة الخروج من الواقع القطري السلبي إلى واقع يحقق طموحات الأمة في تعزيز صمودها وتطوير امكانيات مقاومتها وتطلعها إلى المستقبل، وأشار في هذا الإطار إلى ما تحقق في مواجهة الامبريالية من تقدم نسبي من اللحظة التي رفضت فيها كل الأنظمة العربية ضرب العراق من قبل الامبريالية الأمريكية والبريطانية، كذلك موقف مقاطعة مؤتمر الدوحة رغم الضغوط الأمريكية على الأنظمة العربية لحضوره وفي نهاية الندوة أجاب الرفيق على أسئلة الاخوة الحضور.

# رسالة من مؤسسة
## بيت أطفال الصمود / لبنان

حضرة رئيس تحرير مجلة «الهدف» الغراء

تحية طيبة وبعد،

تهديكم إدارة مؤسسة «بيت أطفال الصمود» أحر التحيات معربة عن تقديرها لمجلتكم، راجية التكرم بنشر التصحيح التالي المتعلق بالمعلومات التاريخية الخاطئة عن جمعية النجدة الإجتماعية والذي نشرته مجلة الهدف في عددها رقم ١٢٧٧ الصادر بتاريخ ٣/١٥/ ١٩٩٨، وقد قرأناه بكثير من الدهشة والإستغراب، إذ أشارت كاتبة المقال السيدة فيروز الناجي، بان معلوماتها الواردة في بحثها عن النجدة الإجتماعية كانت بناء على دراسة ميدانية، لذلك وإنصافاً للحقيقة والتاريخ وللعاملين في مختلف المؤسسات الأهلية ومن ضمنهم الزملاء في مؤسسة بيت أطفال الصمود نؤكد المعلومات التالية:

أولاً: ان مؤسسة بيت أطفال الصمود قد تم تأسيسها أثناء حصار القوات اللبنانية لمخيم تل الزعتر وقد كانت الأمانة العامة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية هي المبادرة لتأسيس هذه المؤسسة إذ بمساعدة عدد من الاختصاصيين في الحقول التربوية والاجتماعية والصحية لبنانيين وفلسطينيين.

ثانياً: يعتبر ١٢ آب من كل عام وهو الذكرى السنوية لخروج أهلنا من مخيم الكرامة - تل الزعتر، هو يوم تأسيس المؤسسة، حيث يحتفل بالذكرى أبناء المؤسسة وأسرهم في مخيمات وتجمعات لبنان كافة، بالاضافة إلى أصدقاء المؤسسة الذين يقدمون الدعم لعملها في العديد من الدول الأوروبية والأسيوية.

ثالثاً: تم تأسيس جمعية النجدة الاجتماعية بتاريخ ١٨/ ٧٨/١١ أي بعد مضي سنتين على تأسيس مؤسسة بيت أطفال الصمود. فكيف كان اسم الجمعية قد حمل اسم مؤسسة أخرى سبقتها في تقديم الرعاية الاجتماعية والتربوية الكاملة لأبناء الشهداء فاقدي الوالدين ولتاهيل المرأة خاصة زوجات الشهداء وبناتهم. حيث لاتزال هذه المؤسسة منذ تأسيسها مستمرة في تقديم خدماتها الاجتماعية والتربوية والصحية والتأهيلية لأسر الشهداء وأمثالهم وهم أعز فئة من أبناء مخيماتنا الصابرة والصامدة في لبنان.

رابعاً: نتمنى على كاتبة المقال / الدراسة الميدانية، ان تتأكد من الحقائق والمعلومات قبل نشرها حيث ان الأمانة البحتة تتطلب الالتزام بالأصول والأساليب العلمية المتعارف عليها في حقل الأبحاث والدراسات.

خامساً: إننا لا ندعي كسباً اعلامياً إذ نشير أن مؤسسة بيت أطفال الصمود هي أكبر مؤسسة أهلية من حيث ما تقدمه لأبناء شعبنا حجماً ونوعاً. فأبناء شعبنا في المخيمات والتجمعات ومنهم أبناء الشهداء وأسرهم واللجان الشعبية والوجهاء هم القادرون على إصدار أحكامهم بشأن تقديمات المؤسسة الأهلية وأساليبها.

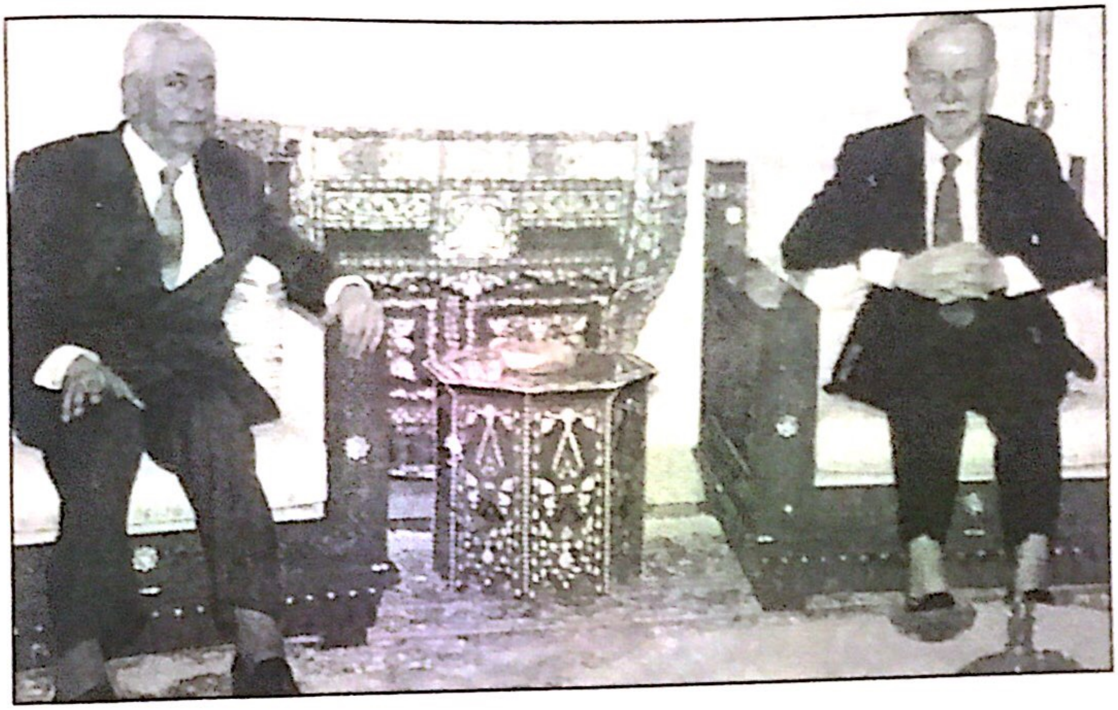
ونعاهد أبناء شعبنا بأن تبقى المؤسسة ملتزمة بأهدافها الوطنية وفية لأمانة الشهداء وأسرهم إلى أن تتحرر فلسطين كاملة من رجس العدو الصهيوني المحتل لتراب أرضنا المباركة.

مع خالص الاحترام والتقدير،

عضو مجلس ادارة المؤسسة
المدير العام قاسم عينا
بيروت ١٩٩٨/٣/٣٠

# المأزق الإسرائيلي في لبنان
# وأهداف الإنسحاب المشروط

د. ماهر الطاهر



**بعد الإجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ واحتلال بيروت، سعت الحكومة الإسرائيلية إلى فرض ترتيبات أمنية وسياسية لجني ثمار العدوان، فتمكنت في حينه وارتباطاً بظروف محددة من توقيع اتفاق السابع عشر من أيار.**

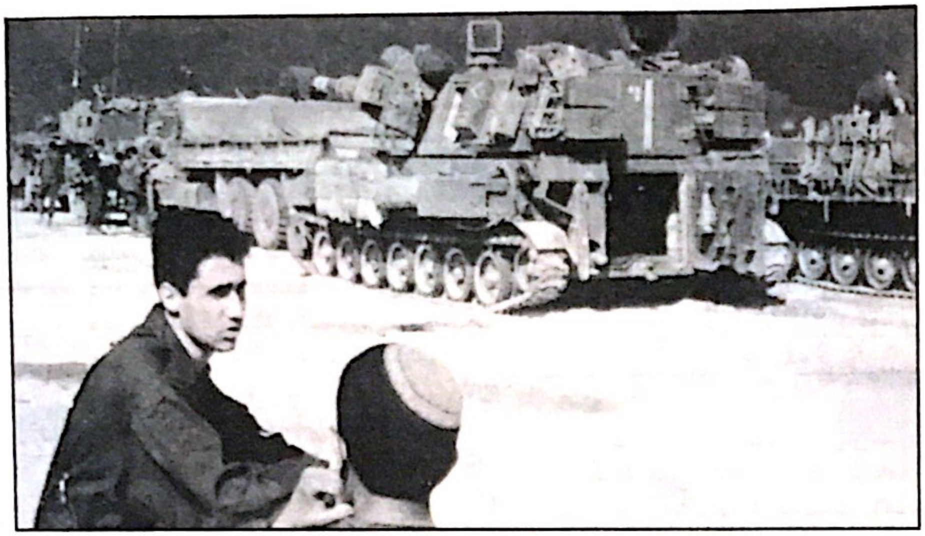
**هذا الإتفاق الذي استهدف عزل لبنان عن محيطه العربي وربطه بسلسلة من الإجراءات والشروط الأمنية والسياسية والعسكرية لضمان النفوذ والتغلغل الإسرائيلي ليس في لبنان فحسب، بل في المحيط العربي كذلك.**

فوجئت إسرائيل بحجم ومدى وفاعلية المواجهة الشاملة التي أبداها الشعب اللبناني لطرد المحتلين مدعوماً بكل أشكال الإسناد من سوريا مما أدى وبشكل سريع إلى تمزيق الإتفاق المذكور وإسقاطه، وإرغام الجيش الإسرائيلي على الخروج مهزوماً من القسم الأكبر من الأراضي اللبنانية بفعل ضربات المقاومة الموجعة والخسائر البشرية الباهظة التي دفعها جراء احتلاله.

واليوم تريد إسرائيل تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قبل خمسة عشر عاماً، بعد أن أقامت حاجزاً أمنياً عبر بعض الميليشيات العميلة في الجنوب معتقدة أن ذلك سيوفر لها الأمن والإستقرار، لكنها جوبهت باستمرار وتصاعد أعمال المقاومة على مدى سنوات طويلة أرغمتها على تقديم المزيد من الخسائر البشرية التي لم تكن في حسبانها ولم تعد قادرة على احتمالها مما عرضها لضغوط داخلية شديدة من الرأي العام الإسرائيلي الذي لاتستطيع تجاهله والذي تطالب قطاعات واسعة منه بالإنسحاب من المستنقع اللبناني.

امام هذه الضغوط الداخلية المتنامية والمتصاعدة وافق المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر على خطة لإسحاق موردخاي تقضي بالإنسحاب المشروط من جنوب لبنان، فبعد عشرين عاماً من الإحتلال اعترفت الحكومة الإسرائيلية رسمياً بالقرار ٤٢٥، لكنها ربطت تنفيذه بشروط أمنية وسياسية عديدة تقوم على اساس إجراء مفاوضات مع الحكومة اللبنانية، وضمان أمن المستوطنات الإسرائيلية، ونزع سلاح المقاومة اللبنانية واستيعاب ميليشيات أنطوان لحد ضمن الجيش اللبناني.

أي أن الحكومة الإسرائيلية عادت إلى أحلامها القديمة بتحقيق مكاسب دائمة ثمناً لإنسحابها، ساعية إلى تعميم نموذج الحلول المنفردة الذي مارسته على جبهات عربية



عديدة. فمنذ أن بدأت المفاوضات العربية الإسرائيلية على المسارات المختلفة عام ١٩٩١، واصلت إسرائيل حربها الحقيقية لتحقيق استراتيجيتها وفرض مفهومها للسلام، وهو مفهوم قام على قاعدة الوصول إلى الأهداف السياسية من خلال المفاوضات وفرض ما عجزت الحروب عن تحقيقه.

لقد ارتكزت استراتيجية التفاوض الإسرائيلية مع العرب منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد على فصل المسارات العربية عن بعضها، والإستفراد بكل طرف عربي على حدة، فنجحت هذه الإستراتيجية منذ البداية عندما تم اصطياد أكبر وأقوى دولة عربية عند توقيعها لصلح منفرد مع اسرائيل، واستمرت ذات الإستراتيجية مجدداً عندما تم اصطياد الطرف الفلسطيني وموافقته على توقيع اتفاق ثنائي مع اسرائيل بمعزل عن الأطراف العربية الأخرى، فكان توقيع اتفاق أوسلو ـ واشنطن، وما أعقبه من توقيع اتفاق وادي عربة بين الحكومة الأردنية وإسرائيل.

إن استراتيجية إسرائيل التفاوضية مع العرب، قامت ولازالت تقوم على قاعدة اضعاف الأطراف العربية وعزلها. لكن هذه الإستراتيجية فشلت في الإيقاع بالحلقة السورية اللبنانية الصلبة التي أصرت على تطبيق قرارات الشرعية الدولية، ورفضت بكل وضوح المفهوم الإسرائيلي المزيف للسلام.

لاشك أن الحكومة الإسرائيلية تواجه ضغوطات جدية من الرأي العام الإسرائيلي للإنسحاب من لبنان، وهذا يذكرنا بالضغوطات الداخلية التي كانت تطالب بالإنسحاب من قطاع غزة الذي شكل عبئاً أمنياً ثقيلاً على إسرائيل أرادت التخلص منه فاقترحت تسليمه لمصر، لكن مصر رفضت هذا العرض.

وبعد ذلك قدم أربعون باحثاً وأكاديمياً إسرائيلياً دراسة منشورة خلال فترة اندلاع الإنتفاضة يقترحون فيها خيارات عدة للحكومة الإسرائيلية حول كيفية التخلص من الإنتفاضة وعبء قطاع غزة بشكل خاص. وتبدأ هذه الإقتراحات بالإنسحاب من جانب واحد وتنتهي إلى الخيار الأفضل الذي تحبذه الدراسة وهو الإنسحاب من غزة مقابل مفاوضات والحصول على أعلى ثمن سياسي ممكن. وهذا ما عملت على اساسه الحكومة الإسرائيلية عندما بدأت المفاوضات السرية مع قيادة م.ت.ف وصولاً إلى توقيع اتفاقات أوسلو التي حصلت بموجبها إسرائيل على ما تريد مقابل تخليها عن أعباء كانت ترغب أساساً في التخلص منها.

هذه التجربة تريد إسرائيل وتحلم بتكرارها في لبنان، فبعد أن تم إدخال الطرف الفلسطيني في متاهات ونفق اوسلو المظلم تسعى حكومة نتنياهو إلى إدخال لبنان في متاهات ونفق مشابه.

إذا كانت إسرائيل ترغب حقيقة بالإنسحاب من جنوب لبنان وإحلال السلام، فهل تجربتها مع الفلسطينيين الذين وقعوا اتفاق أوسلو تبرهن على مصداقية مثل هذه الرغبة أم تبرهن على عكسها تماماً؟

وإذا كانت اسرائيل تريد الإنسحاب وإحلال السلام فلماذا تضع الشروط التي تمس سيادة لبنان وتتجاهل قرارات دولية واضحة لا لبس فيها ولا غموض تطالبها بالإنسحاب الفوري وغير المشروط؟ ولماذا مطلوب من لبنان أن يدفع لها ثمن إحتلالها بعد أن أوقعت به ما أوقعت من الخراب والدمار؟

إن الفخ الإسرائيلي بالإنسحاب المشروط والمرتبط بترتيبات وقيود أمنية يستهدف تحقيق جملة من الأهداف الخطيرة التي تمس سيادة لبنان واستقلاله ومصالح شعبه ويأتي في مقدمة هذه الأهداف:

أولاً: محاولة فصل المسار اللبناني عن المسار السوري في المفاوضات للإستفراد بلبنان وإضعافه واختراقه، لأن اسرائيل تدرك جيداً أن ترابط المسارين يشكل قوة للبنان يمنعها من تحقيق أية مكاسب كما يشكل قوة لسوريا المتمسكة بثوابتها الوطنية والقومية.

ثانياً: محاولة إحداث فتنة داخلية في لبنان، لأن إسرائيل تسعى إلى تحويل قبولها بتفسيرها للقرار ٤٢٥ إلى أداة لإختراق الساحة اللبنانية فقد أعلن دوري سمنون بعد زيارة إلى واشنطن أن موقف الإدارة الأمريكية يدعو الحكومة اللبنانية إلى التجاوب مع العرض الإسرائيلي، وقال إثر اجتماعه مع أمين الجميل وميشال عون في باريس أن على الحكومة اللبنانية أن تتفاوض مع إسرائيل حول القرار ٤٢٥ بما في ذلك الترتيبات الأمنية داعياً إلى حماية جيش العميل لحد.

لاشك أن إسرائيل لاتشعر بالإرتياح للإستقرار في لبنان وتسعى إلى إعادة أجواء الفتنة، وهذا احد أهم استهدافاتها من طرح مناورتها الجديدة.

ثالثاً: محاولة الضغط على سوريا التي بات يشكل موقفها السياسي سياجاً حامياً يمنع اسرائيل من تحقيق المزيد من الإختراقات في الجسم العربي، وبالتالي فإن إسرائيل تريد تحويل لبنان إلى شرطي يحمي حدودها من جهة وتهدد من خلاله سوريا من جهة ثانية.

رابعاً: محاولة تخفيف ضغوطات الرأي العام الداخلي في إسرائيل من خلال القول للشارع الإسرائيلي أننا نريد الإنسحاب لكن هل تريدوننا أن ننسحب من دون ضمانات أمنية وبالتالي محاولة نقل الكرة من ملعب الحكومة الإسرائيلية إلى ملاعب أخرى.

خامساً: خداع وتضليل الرأي العام العالمي، والتغطية على فشل ما يسمى بالعملية السلمية ووصول المفاوضات على المسار الفلسطيني إلى طريق مسدود، وبعد أن اتضح للعالم أجمع أن إسرائيل لاتريد الإنسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، بل تسعى إلى المزيد من الإستيلاء على الأرض وتعمل على توسيع وتصعيد سياسة الإستيطان.

سادساً: التمهيد لشن اعتداءات عسكرية جديدة على لبنان وربما لشن عدوان واسع النطاق يستهدف المقاومة الوطنية والقوات السورية في لبنان تحت ستار رفض الحكومة اللبنانية للتفاوض مع اسرائيل.

هذه الإستهدافات الإسرائيلية باتت واضحة ومكشوفة للشعب اللبناني وحكومة لبنان التي أعلنت بكل وضوح رفضها للشروط الإسرائيلية ومطالبتها بالإنسحاب الكامل وغير المشروط وتأكيدها على تلازم المسارين، وبالتالي فإن لعبة نتنياهو وحكومته لن تنطلي على شعب لبنان، بل ستؤدي إلى المزيد من تعمق المأزق الإسرائيلي والذي لن يجد له علاجاً سوى بالإنسحاب الكامل وغير المشروط من الأراضي اللبنانية ■■

# مطالعة في الفكر السياسي العربي

## في مقاومة اتفاق أوسلو ونهج التسوية نموذجاً

ماجد كيالي



لم يكن توقيع اتفاق «أوسلو» في واشنطن في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣، حدثاً فلسطينياً - اسرائيلياً فحسب، إنه حدث عربي - دولي بامتياز. فما كان لطرفي الإتفاق (الفلسطيني - الإسرائيلي) التوقيع على إعلان المبادئ بدون جملة من التغيرات الدولية والإقليمية التي تضافرت مع الأوضاع الذاتية لكل منهما.

منذ بدايته ظهر المشروع الصهيوني في سياق المشاريع الاستعمارية في الوطن العربي، وتشوهت ملامحه الذاتية - الوظيفية في إطار السياسات الامبريالية إزاء المنطقة العربية. على هذا لم يكن الصراع في يوم من الأيام صراعاً فلسطينياً - اسرائيلياً فحسب، فالمشروع الصهيوني منذ قيامه تحددت وظيفته بخدمة مصالح الامبريالية في هذه المنطقة التي تتمثل بتعميق واقع التجزئة والتخلف فيها من أجل تكريس السيطرة عليها واستغلال خيراتها والحؤول دون أية عملية نهضوية - تحررية فيها. فلسطين على هذا الأساس كانت القاعدة للكيان الصهيوني رغم ما في هذه القاعدة من ميزات تبرز للمشروع الصهيوني من الناحية الايديولوجية لدى الجماعة اليهودية - الصهيونية. ولكن مجال عمل هذه القاعدة كان يتخطى حدودها إلى السيطرة على ما يجري في عواصم ما يسمى دول الطوق. لذلك فإن الإمكانات التي وضعت تحت تصرف هذه القاعدة كانت تتناسب مع دورها في محيطها.

رغم ذلك فإن حدث «أوسلو» كان يعني بداية تحول في الصراع العربي - الإسرائيلي، وإن كان هذا الصراع لم ينته، بسبب طبيعة الكيان الصهيوني ووظيفته واستهدافاته كما قدمنا.

ما يهمنا في هذه الدراسة الوجيزة هو إلقاء بعض الضوء على مواقف مجموعة من المفكرين العرب الذين حاولوا دراسة هذا الحدث وتعيين أسبابه، وتحليل وقائعه، واستقراء المستقبل الذي ينبني عليه.

بداية لابد من الإعتذار تجاه نقص ما في هذه الدراسة ناجم عن الإحاطة بجميع نتاجات الكتاب والمفكرين لصعوبة ذلك من ناحية، وبسبب عدم توفر هذه المصادر من ناحية ثانية، وأيضاً لأن هذا العمل يحتاج إلى جهد جماعي ترصده وتعدّ له مراكز الأبحاث القائمة.

من ناحية أخرى فإن هذه الدراسة اختارت عينة من مواقف المفكرين العرب الذين تمكنوا من طرح أفكارهم في كتب أتاحت لهم طرح جميع مواقفهم بشكل متناسق وواضح، حيث تم استبعاد وجهات النظر التي كتبت في مقالات أو مقابلات رغم أهميتها. الإستثناء الوحيد هنا هو في متابعة مواقف المفكرين الفلسطينيين من داخل الأرض الفلسطينية المحتلة (لعدم توفر كتبهم إن وجدت) حيث تم الإعتماد على دراسات متكاملة نشرت لهم في أكثر من صحيفة عربية.

أيضاً، تحاشت الدراسة استعراض وجهات النظر التي تنطلق من خلفية تنظيمية، أو التي ترفع شعارات مطلقة - نهائية، وهكذا فلا وجهات نظر حزبية، ولا استعراض لوجهات النظر المحددة سلفاً، لأن كلا هذين الطرفين عبرا عن وجهات نظرهما بوسائلهما، كما أن وجهات نظرهما معروفة للغالبية العظمى من المتابعين.

على هذا الأساس ركزت الدراسة على وجهات نظر المفكرين والباحثين من زاوية كونهم عاملين في حقل النشاط الفكري بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو القطرية، حيث تم انتقاء عينة من هؤلاء المفكرين الذين حاولوا تقديم آراء جديدة، غير تقليدية، تهدف إلى وعي الواقع الذي جاء به اتفاق «أوسلو» وتحليله، واستنباط أشكال مقاومته وتغييره. لذلك فإن هذه الدراسة أيضاً ليست محايدة.

بعد ذلك لابد من التنويه إلى التشابه الكبير في كثير من المواقف والتحليلات المتعلقة بمسار عملية التسوية، ومن ضمنها اتفاق أوسلو. على أساس هذا التشابه فقد تم الإستغناء عن التفاصيل والإستشهادات الطويلة، فلم تعن الدراسة بإبراز هذه التفاصيل، وإنما عنت بإبراز ما اعتقدت أنه أساسي وجوهري ومتميز فيها.

### أولاً: الموقف من الإتفاق:

بعد توقيع الإتفاق مباشرة، وبسبب الهزة التي أحدثها في الإطار النفسي والفكري، حدث استقطاب حول وجهتي نظر متقابلتين لدى النخب

العربية، في حين أن الغالبية العظمى من الجماهير العربية وقفت حيرى تجاه الحدث الكبير، ليس بسبب الإلتباس الذي تضمنه الإتفاق الذي وقعته قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، فحسب، وإنما بسبب إحساسها بالعجز، وشعورها بالإغتراب تجاه ما جرى وما يجري.

في ظل هذا الإضطراب الحاصل، ظهرت وجهة نظر أخرى في أوساط النخب الثقافية العربية، وجهة نظر لها وجاهتها، وقوتها تنبع من الثقل المعنوي لأصحابها، ومن المنطق الذي يقف وراءها، ويمكن الإصطلاح على وجهة النظر هذه باعتبارها «قبولاً رافضاً» أو «رفضاً قابلاً» بحسب د. فؤاد زكريا[1]. ومن أبرز المعبّرين عن هذا الإتجاه محمد حسنين هيكل، الذي قال في كتاب له: «لست ضد اتفاق غزة ـ أريحا، لكنني في الوقت نفسه لست معه»[2]. أما كريم مروة فقد عبّر عن موقفه بالقول: «لن أنعت الإتفاق بالخياني، ولن أنعت صانعيه بالخونة، ولن أعلن الحداد على القضية، ولن أدعو إلى القتال، بالسلاح لإسقاط الإتفاق وإسقاط صانعيه»[3]. ويمكن الإشارة إلى وجهة نظر أخرى، قريبة من وجهة النظر هذه، حيث تتجاوز بطرحها ثنائية قبول الإتفاق أو رفضه، لتبحث بما هو أبعد من ذلك، في كيفية مواجهة الإتفاق، بالتقليل من مخاطره، وبمقاومته، وبالعمل من أجل تغيير الواقع الذي أنتجه. فهذا د. عدنان السيد حسين يعتبر «أن الظروف وموازين القوى الدولية هي التي أملته (الإتفاق) على النحو الذي عرفناه (...) اتفاق أوسلو يجسّد في مضمونه ومفاعيله بعض الواقع الدولي»[4]. ويوضح كريم مروة وجهة النظر هذه بالقول: «ما وقع برغم خطورته، قد وقع وأصبح قراراً للتطبيق ليس لأنه قدرٌ لا مردّ له، بل لأن الذين صنعوه تعهّدوا بوضعه موضع التطبيق، يملكون القدرة على ذلك، في حين لايملك المعارضون إلاّ فعل المعارضة(...) الواقع الذي بكل مكوّناته (...) مؤهل بامتياز (...) لتمرير هذا النوع من الإتفاقات، وتبريره وتجاوز أيّ معارضة»[5]. ويؤكد د. عزمي بشارة هذه الحقيقة بقوله: «إن اتفاق أوسلو ـ القاهرة اصبح واقعاً ولايمكن إسقاط الواقع، ولكن في الإمكان تغييره وتجاوزه»[6]. وبحسب د. علي الجرباوي فإن «الشروط الذاتية والموضوعية الحالية (فلسطينياً وعربياً) لاتكفي لإلغاء هذا الإتفاق وقلب واقع الحال»[7]. أما د. إدوارد سعيد فيقول: «الإتفاقيات التي تم إبرامها مؤخراً مع اسرائيل، ليست إلاّ محصّلة الإستسلام العربي غير الضروري وغير الحتمي في رأيي»[8].

على هذا الأساس من الواقعية عبّر هذا النمط من المفكّرين عن موقفهم من الإتفاق حيث اعتبروه علامة تحوّل في الحياة السياسية العربية، وواقعاً لايمكن تجاوزه أو اعتباره غير موجود بسبب رفضهم له، كما لكونه محصّلة لكل الواقع السياسي ـ والإجتماعي والإقتصادي العربي. وبذلك حرّر هؤلاء الخطاب السياسي العربي من ثنائيته القسرية السطحية: إما مع أو ضدّ، إمّا قابل أو رافض، إما وطني أو خائن، مؤمن أو كافر، وهكذا. ومن الإجحاف بمكان أن ينظر أصحاب «الخنادق» و «المتاريس» النظرية إلى وجهات النظر تلك بوصفها نمطاً للتفكير الوسطي، مثلاً، أو بمثابة تفكير توفيقي. فهذه الصفات لم تكن على بال هؤلاء المفكرين الذين تصدّوا لمعالجة هذا الحدث، ذلك أن هؤلاء الذين جدّفوا ضد التيار السائد كانوا ينظرون إلى المستقبل دون أن يغفلوا عن الواقع البائس وموازين القوى التي قادت إلى اتفاق أوسلو.

## ثانياً: في المعطيات التي أدّت إلى الإتفاق:

أمّا بالنسبة لتحليلهم للإتفاق، بدءاً من الأسباب التي قادت إليه، وصولاً إلى تقييمه، وشرح أبعاده فقد اتفق المفكرون والباحثون (موضوع الدراسة) على أهمية العوامل التي أدّت إلى توقيع اتفاق «أوسلو» وهي: أولاً، المتغيرات الدولية المتمثلة بانهيار الاتحاد السوفياتي (الذي كان عامل قوّة لصالح العرب) وتالياً اختفاء الحرب الباردة ونظام القطبين، ثم هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، حليفة إسرائيل وضامنة أمنها وتفوّقها النوعي في المنطقة؛ ثانياً، حرب الخليج الثانية والتداعيات التي أدّت إليها من تفكيك الحدّ الأدنى من التضامن العربي، وإيجاد مبرّر لبعض الأنظمة لفكّ ارتباطها بقضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ومن ضمنه القضية الفلسطينية، إلى درجة الهرولة في إقامة علاقات ثنائية مع الكيان الصهيوني. ثالثاً، الحصار الذي تعرّضت له منظمة التحرير الفلسطينية، قيادة ومؤسسات، والأزمة المالية والسياسية التي ألمّت بها. هذه الأسباب التي كانت محل إجماع معظم الكتّاب والمفكّرين[9]؛ يضيف عليها الأستاذ شفيق الحوت[10] أسباباً هامة أخرى مثل: رحيل الثورة عن لبنان الذي أدّى لحرمانها من القاعدة المستقلة، ثم وضع الإنتفاضة الذي وصل إلى مرحلة الإعياء. أمّا د. عزمي بشارة فيقول: «انطلقت المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية بعد موافقة الأطراف العربية ذات العلاقة على الشروط الإسرائيلية المسبقة»[11]. ويقول أيضاً: «لقد تولّدت عملية مدريد من ميزان قوى معيّن بعد حرب الخليج، يرافقه وصول الإنتفاضة بشكلها السائد بعد سنوات إلى طريق مسدود، لم تكن المنظمة مستعدة لدفع ثمن باهظ من أجل تأمين عودتها إلى الساحة الدبلوماسية، فمنظمة التحرير الفلسطينية غير قادرة على مباركة أي حل مرحلي يبقيها خارجه»[12]. علاوة على الأسباب التي ذكرت فإن هيكل[13] يشير إلى واقعة خروج مصر من الصف العربي كأحد الأسباب التي أدّت إلى تردّي الوضع العربي على جبهة الصراع مع اسرائيل، كما يشير إلى حقيقة دفع بعض الدول العربية لمنظمة التحرير للدخول في اتفاق مع اسرائيل، حيث جرى دفعها بقوّة طرد هائلة أوصلها إلى قوة الجذب الإسرائيلي. ويشير أيضاً، إلى الصعوبات التي يعاني منها الشعب الفلسطيني، في الداخل والخارج. ثم إن اتفاق «أوسلو» بحسب د. الجلبي ود. السيد حسين: «ليس اتفاقاً فلسطينياً ـ اسرائيلياً، فحسب وإنما حلقة من مسار التسوية (...) وترجمة لتحولات دولية وإقليمية»[14].

بعد هذه الأسباب، تأتي عملية تحليل الإتفاق، حيث يطرح مروّة بعد «الإقرار بالواقع القديم والجديد والمتجدّد، وفي ضوء الإعتراف به (...) أدعو إلى النضال ضدّ هذا الواقع من أجل تغييره على مدى طويل. إن تغيير الواقع إنما يبدأ بالإقرار بوجوده أولاً، ثم بتحليله، من أجل معرفته، ثم صياغة خطة تؤسّس لفعل يبدأ (...) ويتحول مع تبدّل الظروف لتوفير شروط تبديلها إلى صيغ أخرى»[15]. ويؤكّد على ذلك د. جورج جقمان بقوله: «الفعل السياسي ضمن نطاق الوضع العالمي والإقليمي الحالي لايمكن أن ينطلق إلاّ من الواقع سعياً نحو تعديله وتطويره وتغييره»[16]. كما يؤكّد هذه الحقيقة د. بشارة حيث يقول: «لايمكن إسقاط الواقع ولكن في الإمكان تغييره وتجاوزه»[17]. ويضيف: «لكن من أجل تغييره يجب التعامل معه، والتعامل معه لايعني في أية حالة من الأحوال قبوله أو التحمّس له»[18]. وبحسب د. الجرباوي «فإن التعامل العملي مع النتائج الناجمة عن (الإتفاق) يصبح حالياً من الضروريات (ريثما يتم توفير الظروف لإسقاطه)... التجاهل يؤدي إلى أن تترك الوقائع تتفاعل وتتطوّر بدون تدخّل(...) فاعل لمعارضتها أو التحكّم بتأثيراتها (...) التدخّل بهدف خلخلته من داخله وتوسيع رقعة حدوده ومجالاته باتجاه تحقيق المصلحة الوطنية الفلسطينية»[19]. ويطرح د. الجرباوي مسألة مقاومة الإتفاق المفروض من جهة والتعاطي مع الوقائع الناجمة عنه بدون ضرورة الإعتراف بشرعيته من الجهة الأخرى.

من ناحية أخرى فإن هيكل[20] يعتبر الإتفاق مجرّد سلام من منطق القوّة والغلبة، وأن الإتفاق «لم يجلب وحده هذا الخطر الشديد، لكن مجيئه في سياق كل ما تقدم عليه، ومهّد له يكرّس حالة من التفكّك والتآكل لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمّة» ويستنتج بأن «الصراع له وجهان: فلسطين وإسرائيل، الوجه الفلسطيني سيبتعد والوجه الإسرائيلي سيزداد سفوراً وبروزاً». ويتفق جوزيف سماحة مع هذا الموقف، فبرأيه: «لاتغلق التسوية المفروضة على العرب فصلاً من قضية فلسطين إلاّ أنها نجحت في إغلاق فصل من الممانعة العربية (ويضيف) القضية الفعلية التي تواجههم (للعرب) ليست القضية الفلسطينية بل القضية الإسرائيلية»[21]. وهنا يسلّط هيكل وسماحة




الضوء على نقطتين هامتين في التعاطي مع مسألة التسوية، أولاهما أن اتفاق «أوسلو» هو نتيجة للوضع العربي، على رغم خطورته، وثانيتهما أن المسألة الأساسية التي تواجه العرب ليست القضية الفلسطينية، وإنما هي وجود الكيان الصهيوني في المنطقة بسبب طبيعته العنصرية ووظيفته الإمبريالية في المنطقة. ويرى بلال الحسن، بأن «سياسة القرض تقود إلى طاولة المفاوضات ولكنها لاتنتج حلولاً أو اتفاقات وإذا أنتجت فإنها لاتنتج سلاماً»[22]. كما يرى برهان الدجاني بأن «الإتفاق هو مرحلة باتجاه تطوير الصهيونية لمشروعها»[23]. هذا وقد تحدث الجميع عن الإتفاق بوصفه اتفاقاً مفروضاً، واتفاقاً ناقصاً أو جائراً، حدث في ظل عدم تكافؤ بين بين الطرفين لصالح الكيان الصهيوني، كما استفاض الجميع في توضيح نقائص الإتفاق وتناقضه مع الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، وخلوه من أية عناصر سيادية، وافتقاده لأية مرجعية قانونية أو تغييبه للقضايا الهامة مثل قضايا: اللاجئين وحق العودة، القدس، المستوطنات، الحدود، وكذلك تضمينه قضايا التعاون الثنائي والإقليمي مع اسرائيل وبالتنسيق معها، كما تحدثت عن الخلل في إدارة المفاوضات لدى الفلسطينيين والتفرّد في اتخاذ القرارات المصيرية بمعزل عن المؤسسات الرسمية، وإرادة الشعب، وأبدت تخوّفها من غياب الديمقراطية في المجتمع الفلسطيني وطرح البعض هاجس تحوّل الإتفاقية الإنتقالية إلى اتفاقية نهائية بسبب الممارسات الإسرائيلية، وضعف الوضع الفلسطيني والعربي.

رغم هذا الإجحاف المتضمّن في الإتفاق فإن هناك اجتهاداً بإمكانية بروز معطيات جديدة قد تفتح الآفاق المسدودة بفعل اتفاق أوسلو، وبحسب د. فؤاد زكريا فإن «شيئاً ما قد بدأ ولابد من مواصلة السير فيه»[24]. ويعتبر هيكل الإتفاق «نقطة تحول»[25] أما مروة فيقول: «صار للفلسطيني على ارض فلسطين بموجب هذا الإتفاق موقع قدم «شرعي» يحمل اسم الحكم الذاتي، بديلاً مؤقتاً عن الدولة الفلسطينية (...) نعم هو موقع قدم، هذا الحكم الذاتي، لشعب فلسطين، لا أكثر»[26]. كما اعتبرها الدجاني مرحلة جديدة[27] في حين أن د. الجلبي رأى في الإتفاق «اعترافاً متبادلاً.. تحوّلاً تاريخياً ومتغيراً أساسياً في الصراع. إذ به انتهى عصر إنكار كل منهما للآخر»[28]. وعن هذا التحول يقول د. عزمي بشارة. «لقد نشأ بعد الإتفاق وضع سياسي جديد... لكن الواقع الجديد ليس أكثر أبدية من سابقه، من الممكن تغييره هو ايضاً، ولا حاجة إلى الإستسلام له»[29].

### ثالثاً: ما بعد «أوسلو»:

بعد الإشارة إلى موقفهم المبدئي من اتفاق «أوسلو» وتحليلهم للمعطيات التي أدت إليه، وعرضهم لطبيعة الإتفاق وأبعاده، تطرق هؤلاء المفكرون والباحثون إلى المستقبل الذي سينبني على خلفية هذا الإتفاق، وكيفية العمل على مواجهته ومقاومته. وفي هذا المجال فقد ركّز هؤلاء على أهمية استنهاض الوضع العربي والعمل على تطوير النظام العربي، وتعزيز الحياة الديمقراطية في المجتمعات العربية، وذلك من أجل مواجهة عمليات الإستفراد والتطبيع ومشروع النظام الشرق أوسطي، ومن أجل مواجهة الإستحقاقات القادمة في ظل المحاولات الإسرائيلية للهيمنة على النطاق الإقليمي. كما تم التركيز على مسارات استمرار الصراع ضد الكيان الصهيوني بسبب طبيعته العنصرية ووظيفته الإمبريالية في المنطقة وسعيه لإستمرار تفوّقه العسكري والإقتصادي والتكنولوجي فيها.

وعلى الصعيد الفلسطيني أشارت الدراسات المذكورة إلى انتهاء مرحلة في تاريخ حركة التحرر الفلسطينية، وظهور مرحلة جديدة بمعطيات وأوضاع تتطلّب تجديد هذه الحركة لبنيتها من أجل استمرار العملية الوطنية في سبيل تحقيق أهداف الشعب العربي الفلسطيني. كما أبرزت المعطى الجديد المتمثل بوجود سلطة الحكم الذاتي، بما لها وما عليها، وسُبُل التعامل مع هذا المعطى لصالح تفويت الإستهدافات الإسرائيلية في خلق سلطة تابعة، ومن أجل تطوير الكيان الفلسطيني والمؤسسات الفلسطينية لصالح دولة فلسطينية مستقلة. وتطرقت هذه الدراسات للعلاقة بين السلطة والشعب، مؤكدة أهمية ترسيخ مناخ ديمقراطي وعلاقات ديمقراطية من خلال عملية انتخابات متكاملة. وبناء المؤسسات وهيئات المجتمع المدني. كما تعرّضت الدراسات لموضوع المعارضة الفلسطينية. والصعوبات الذاتية والموضوعية التي تعاني منها، وتحدّ من قدرتها على المعارضة والفعل مؤكدة أهمية تطوير هذه المعارضة لخطابها السياسي وبناها التنظيمية ولأشكال عملها ونضالها بما يتناسب والواقع الجديد.

فهذا كريم مروة مثلاً، الذي يدعو إلى النضال ضد اتفاق أوسلو وإلى تغيير الواقع على مدى طويل يصرّ على أهمية الإعتراف بالواقع أولاً ويطرح مجموعة من الملاحظات التي تتعلّق بمقاومته، واستمرار المواجهة ضد المشروع الأمريكي الإسرائيلي الذي يستهدف خلق عالم شرق أوسطي لتفكيك الرابطة العربية وتفتيت كل قطر على حدة. وبالنسبة للإتفاق فإن مروة يقترح عدة مراحل في التعامل مع الواقع الذي أنتجه الإتفاق، حيث في المرحلة الأولى يجري تجريد الإتفاق من عناصر الخلل، باستكمال العناصر السيادية، ويقترح دخول المعارضة في الواقع الصعب في محاولة اختراقه، وخوض مرحلة الكفاح البنّاء، أمّا المرحلة الثانية فهي العمل من أجل تحويل الحكم الذاتي إلى كيان فلسطيني مستقل وإلى دولة فلسطينية على كامل الضفة والقطاع، وحل مشكلة اللاجئين وحقهم في العودة وهي مهمة (برأيه) لاتنحصر بالفلسطينيين بل هي مهمة كل العرب؛ المرحلة الثالثة هي مرحلة الحل النهائي بأن تنشأ على أرض فلسطين دولة فلسطينية ديمقراطية موحدة من العرب واليهود[30].

جوزيف سماحة، يتقاطع مع كريم مروة في موقفه من الحل النهائي، بالنسبة لدولة ديمقراطية في فلسطين، وهو ايضاً يرى بأن السلام الذي يجري ترسيمه على غير ذلك هو «سلام عابر» حيث أن «التناقض بين الأمة العربية وإسرائيل هو تناقض غير قابل للحسم إلاّ بانتصار أحد الطرفين.. سيستمر الصراع وتتغير أشكاله وتتحوّل وتتكيّف (...) لامجال للتعايش بين تصوّرين للمنطقة. (إسرائيل) حاجة استعمارية واستثمار استعماري (...) تغيرت القوى الداعمة لها والأهداف التكتيكية

لهذا الدعم ولكن الثوابت بقيت: حراسة التجزئة العربية، والتبعية والتخلف والتصدّي لمشاريع الإستقلال الوطني والتوجّهات الوحدوية العربية» [31]. ويقول سماحة في مواجهة الواقع المفروض: «لنوقف التراجع، هذه مهمة أولى، لننظم المقاومة، هذه مهمة ثانية، لنتقدم نحو توازن رعب، هذه مهمة ثالثة، لنبدأ الحصار والتصعيد، هذه مهمة رابعة، لننظّم الهجوم الحضاري العام، هذه مهمة خامسة. لاتَرَفَ في هذا السرد إنه خبزنا اليومي، إنه الشيء الوحيد الذي لابديل عنه، إنه أبسط الحقوق» [32]. وبالطبع فإن سماحة يشير إلى أهمية العمل بتدرّج من أجل الوحدة العربية، وقضايا التنمية والتحديث والإستقلال الفعلي.

بدوره فإن هيكل لايرى في مايجري نهاية المطاف لأن «صنع التاريخ لابد أن يؤسّس على الثابت من الحقائق والحقوق (...) حقائق الجغرافيا والتاريخ ستعود إلى تأكيد نفسها إذا استطاعت الأمة أن تساعد هذه الحقائق، بالمحافظة على سلامة وعائها الحضاري، وبإعادة تأسيس شرعية السلطة في كل بلد عربي حتى تتّسق حركتها مع روح العصر، وبجهد مطلوب لتجديد الفكر العربي حتى تتّسق رؤاه مع آفاق المستقبل» [33].

أما شفيق الحوت فهو يؤكد بأن الصراع سيظل قائماً، ويشير إلى أهمية تعميق البعد العربي للقضية الفلطينية. «هذه الإتفاقية لن تصنع سلاماً (...) قد تفرض هدنة، وقد تُسقط بُعداً من أبعاد الصراع، لكن بقية الجبهات ستبقى مفتوحة (...) إنها حقبة جديدة من حلقات الصراع الذي ما من حلّ له إلا بإزالة الأسباب التي أدّت إلى قيامه» [34].

وفي هذا المجال يؤكد برهان الدجاني، في مواجهة منعكسات الإتفاق، على أهمية وحدة الشعب الفلسطيني وأهمية إعادة هيكلة العمل الوطني وربط القضية الفلسطينية بالقومية العربية [35]. ويرى د. الجلبي ود. السيد حسين «أننا ضمن المرحلة الإسرائيلية ـ الأمريكية، وهي ليست مرحلة قضاء وقدر»، وهما يؤكدان على أهمية التأسيس لنهضة عربية جديدة، وأن التصدي للإتفاق ليس مهمة فلسطينية وحسب بل هي مهمة عربية، ويقترحان من أجل التأسيس لنهضة عربية: «إعادة النظر بمفهوم الدولة، إعادة تأسيس النظام العربي، تثبيت القيم الدينية والحضارية، الإنخراط في مشروع التنمية البشرية الشاملة والمستديمة، توفير الحريات العامة والممارسة الديمقراطية» [36].

بالنسبة لـ د. علي الجرباوي فإن التعامل مع النتائج الناجمة عن الإتفاق من الضروريات لحين يتم توفير الظروف الكفيلة بإسقاطه، وهو يقترح مبدئياً، خلخلته من الداخل [37]، ويركّز د. الجرباوي مثله مثل د. بشارة، وجقمان ود. إدوارد سعيد على أهمية بناء المؤسسات الفلسطينية، وتعزيز مؤسسات المجتمع المدني، وتداول السلطة من خلال الإنتخابات وتأكيد الحياة الديمقراطية باعتبارها من أهم مقوّمات هذه المرحلة التي تساهم في بناء المجتمع الفلسطيني، وتصون وحدته، وتكفل استمرار تطوره على طريق تحقيق حقوقه الوطنية في مواجهة الأطماع الإسرائيلية. يقول د. بشارة أيضاً: «الإمكان الوحيد للمعارضة هو العمل من خلال الحركة الجماهيرية التي لن تتظاهر ضد الإتفاق بل ضد مظاهره ولا ضد الإنسحاب من غزة بل من أجل الإنسحاب من رام الله، ولا ضدّ الحكم الذاتي، بل من أجل الإستقلال (...) هناك إمكانان لاثالث لهما لتغيير الواقع السياسي، فإما دحره كلياً بالهزيمة العسكرية أو الثورة الشعبية الشاملة، وإمّا التعامل معه بحرفية لابدّ ان يكون فيها جانب تطبيقي مع أنها قائمة على رفضه ورفض شرعيته (...) المعارضة الوحيدة القادرة على وقف مثل هذا المشروع يجب أن تأتي من المناطق المحتلة (...) أن مشروعاً وطنياً للحل السريع غير ممكن حقاً. لأن الحل الوطني هو إلحاق الهزيمة بالمشروع الصهيوني... (المطلوب) تقديم استراتيجية بديلة وليس حلاً بديلاً» [38].

إجمالاً تلك هي قراءة موجزة لبعض نتاجات المفكرين والباحثين العرب الذين تصدوا بواقعية علمية ـ ثورية لحدث «أوسلو» ولموضوعة التسوية في هذه المرحلة، وهي واقعية مهمتها التغيير، وبحسب كريم مروة: «هي نقيض الإندماج بالواقع. إنها الواقعية التي تتعامل مع الواقع، أي تعترف بوجوده (...) وتناضل على اساس العلم والمعرفة، وعلى اساس برامج مدروسة (...) من أجل تغيير هذا الواقع (...) لتحقيق الحرية والتقدم والإستقلال والسلم الحقيقي والعدالة الإجتماعية» [39].

## رابعاً: ملاحظات أساسية:

لاشك أن عملية القراءة الإنتقائية لمواقف بعض المفكرين والباحثين على خلفية اتفاق «أوسلو» وعملية التسوية عموماً، تحتاج إلى مزيد من الجهد والمثابرة للإحاطة بموقف النخب العربية، التي تساهم بصنع الرأي العام العربي، من جهة، والتي تحاول استقراء المستقبل ورسم السياسات المناسبة لمواجهة استحقاقاته من جهة أخرى.

لابد في هذا المجال من ذكر بعض الملاحظات التي تتعلّق بهذا الموضوع وهي على النحو التالي:

١ـ أن مجمل جهد المفكرين والباحثين إنما هو جهد فردي، مشتت، غير ناتج عن عمل جماعي، بسبب غياب مراكز البحث والتخطيط وضعف إمكانيات الموجود فيها، ويمكن الإشارة إلى بعض المراكز التي بذلت جهوداً في هذا المجال، مثل مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، الذي نظم ندوة متخصصة حول النظام الشرق أوسطي، وصدرت أعمالها في كتاب عنوانه: «التحديات الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربي»؛ كذلك مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت الذي نظم ندوة متخصصة عن: مشكلة المياه في الشرق الأوسط، هذا إضافة إلى ندوات مركز الدراسات الإستراتيجية في «الأهرام»، ونتاجات مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، ولكن السمة العامة هي غياب العمل البحثي الجماعي، وتبعثر الجهود الفردية، مما يضعف عملية تكوين رأي جمعي حول القضايا المصيرية.

٢ـ غياب العلاقة الصحيحة الفعالة ـ الإيجابية بين المثقفين من جهة والسلطات العربية من جهة أخرى، وهذا الوضع يضعف أهمية النتاجات والأعمال التي لاتهدف إلى تبرير سياسات هذه السلطات، ويؤدي أحياناً إلى طمسها ومحاربتها. كما يؤدي ذلك إلى غياب المساهمة في صنع القرارات الإستراتيجية من قبل هذه النخب، وحرمانها في دورها في ترشيد هذه القرارات في وقت تحتاج فيه السلطات إلى كل الجهود في إطار المعركة التفاوضية، أو في إطار تحشيد القوى والإمكانات لمواجهة استحقاقات المستقبل.

٣ـ إن المرحلة التي نمر بها، هي من حيث الأساس، مرحلة انتقالية، مؤقتة، ومن الصعب في ظل هذه المرحلة إنتاج الفكر السياسي الذي يجاوب على كافة الأسئلة المطروحة، بسبب سرعة تغير الأوضاع، والسيولة الكبيرة لمختلف الأحداث، بناءً على هذه الخلفية فإن معظم الدراسات المذكورة اتسمت بالجوانب التالية:

أـ تجاوز الثنائيات الحادّة والأحكام المطلقة والتأكيد على أهمية إدراك الواقع المعطى، بأبعاده ومعطياته، وموازين القوى فيه، والأهداف الممكن تحقيقها في هذه المرحلة، هذا أولاً، والإنطلاق ثانياً نحو ترتيب الأوضاع للتعاطي مع الواقع القائم على قاعدة مقاومته، اي التعامل مع نتائجه وانعكاساته التي لايمكن تجاهلها، ثالثاً العمل بكل الإمكانيات لتغيير هذا الواقع بمقاومته، فبدون هذه العمليات الثلاث المترابطة لايمكن رسم استراتيجية بديلة لمواجهة نتائج اتفاق أوسلو، وغيره من الإتفاقات والترتيبات الثنائية والإقليمية.

ب ـ إن اتفاق أوسلو ـ القاهرة هو اتفاق فلسطيني ـ اسرائيلي، وهو اتفاق لا وطني لأنه لايعبر عن إرادة الشعب الفلسطيني، ولايحقق الحد الأدنى من أهدافه الوطنية، وهو اتفاق إذعان واتفاق مفروض، ولكنه إضافة إلى كل ذلك جزء عضوي من مجمل الترتيبات الجارية في المنطقة لإنهاء حالة الصراع مع العدو الصهيوني، وإقامة «النظام الشرق أوسطي» المقترح، لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية، والقوى الإمبريالية، إلى جانب قوى إقليمية (عربية) هي التي تقف

خلف هذا الإتفاق وهذه الترتيبات، واي مقاومة يجب ان تأخذ حجم هذه القوى بعين الإعتبار.

جـ - إن القضية الأساس التي تواجه الأمة العربية هي قضية الصراع ضد الإمبريالية وضد علاقات التبعية والتخلف، وفي إطار هذا الصراع يحتل الكيان الصهيوني موقعاً متميزاً في إطار استراتيجية الإمبريالية، عموماً، والولايات المتحدة خاصة، ومن المتوقع استمرار الدور الوظيفي للكيان الصهيوني لحماية واقع التجزئة والتبعية والتخلف في المنطقة. لذلك فإن هذا الصراع سيستمر رغم كل الحديث عن التسوية، ومشاريع التعاون الإقليمي، وخطة «النظام الشرق أوسطي» بسبب طبيعة الكيان العنصرية ووظيفته الإمبريالية في المنطقة. لذلك فإن تراجع القضية الفلسطينية من الناحية النظرية أو العملية لن يلغي جوهر الصراع بل سيزيده سفوراً وحدة ويظهره على طبيعته. منذ بداية المشروع الصهيوني كانت فلسطين مجرد القاعدة لهذا المشروع أما حدود عملياته فكانت في عواصم الدول العربية المحيطة والمجاورة، وكان الشعب العربي الفلسطيني الضحية الأولى المباشرة له، ولكن الأمة العربية كلها دفعت ثمن قيام هذا المشروع، من ثرواتها وحياتها ومستقبلها؛ لذلك في بداية استراتيجية عربية - مستقبلية لابد أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الإعتبار.

د- بسبب تعقيدات القضية الفلسطينية، فإنه يجب التمييز بين مستويات العملية الوطنية الفلسطينية في إطار تكاملها، فهي أولاً عملية نضالية في مواجهة الكيان الصهيوني أساساً، وفي مواجهة سياساته الإحتلالية - الإستيطانية - العنصرية، وهي ثانياً عملية نضالية في سبيل وحدة الشعب الفلسطيني (في الداخل والخارج) وفي سبيل بناء المجتمع الفلسطيني، وبلورة مؤسساته الوطنية، وصيانة هويته وكيانه السياسي، وفي سبيل تطوير إمكاناته الإقتصادية ومنظماته الشعبية والثقافية والإجتماعية، أما الجانب الثالث للعملية النضالية، فهو المتمثل في الدفاع عن البعد القومي للقضية الفلسطينية، وهذا يعني من جهة الإعتراف بالدور الخاص للشعب الفلسطيني في النضال ضد الكيان الصهيوني، باعتباره نضالاً تفرضه الضرورة الوطنية والقومية، وأيضاً، تحقيق الترابط الصحيح بين بُعدي الصراع الفلسطيني والعربي ضد الكيان الصهيوني، على اساس من التضامن والتلاحم والتكامل.

هـ - في هذه المرحلة طالما انه لايمكن إسقاط هذا الواقع (في المدى المنظور) فإنه ينبغي التعامل بحذر مع إفرازاته على قاعدة مقاومتها، وهذا يعني البناء على واقع الإعتراف بالشعب الفلسطيني وحقه في إقامة كيان وطني مستقل، وتطوير هذا الواقع من خلال تطوير المؤسسات الفلسطينية، وتصويب العلاقة داخل التيارات السياسية الفلسطينية. وكذلك بين هذه التيارات والسلطة الفلسطينية بما يخدم هدف الحرية والإستقلال في هذه المرحلة. هذا أولاً، وثانياً، فإنه ينبغي العمل على مقاومة الإستهدافات الإسرائيلية من اتفاق «أوسلو» لجعله واقعاً نهائياً، ومقاومة إجراءات تهويد القدس وتعزيز الإستيطان، وتقويض السيادة الوطنية للفلسطينيين وتكريس تبعيتهم لإسرائيل، كذلك تفويت ورفض الأهداف الإسرائيلية للإستفادة من الإتفاق على الصعيد الإقليمي - العربي، ورفض أية إشارات أو تمهيدات لمثل هذا الواقع، ثالثاً، إفساح المجال أمام كافة أشكال النضال ضد الكيان الصهيوني باعتبارها حقاً من الحقوق المشروعة طالما أن الأراضي الفلسطينية لازالت محتلة، وطالما أن إسرائيل ترفض الإنسحاب الناجز منها، ومقاومة أي دور أمني للسلطة الفلسطينية في مجال كبح المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل.

ز- كما أكدت الدراسات على ترابط العملية النضالية وعملية التغيير في المنطقة، بسبب من تلازم المشروع الإمبريالي - الصهيوني، وترابط قضايا التجزئة - التخلف - التبعية، الأمر الذي يستدعي بذل الجهود من أجل صياغة المشروع العربي النهضوي - التحرري الذي يتمحور على قضايا النضال للتخلص من التبعية ونموذجها الراهن المتمثل بمشروع النظام الشرق أوسطي، وأيضاً النضال من أجل تعميق المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات من خلال تعزيز الحياة الديمقراطية في المجتمعات العربية، وصولاً إلى تحقيق أهداف التنمية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والسير في طريق التكامل العربي إلى الوحدة العربية.

- إجمالاً فإن هذه القراءة الموجزة لنموذج في الفكر السياسي العربي الراهن، تعمدت تقديم الجديد، والمتغير، والمتميز في هذا الفكر خاصة في مجال تعامله مع قضية مصيرية، على غاية في الأهمية، بالنسبة لحاضر الأمة العربية، ومستقبلها، وهي قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، ومستقبل العلاقات العربية الإسرائيلية.

وبتقديري فإن هذا النموذج، يحاول أن يتكيف مع الواقع وموازين القوى، دون أن يستسلم لها، ودون أن يبرر أو يزين عملية التكيّف الإضطرارية وتالياً فهو نموذج للفكر الواقعي المقاوم الذي لم ينحنِ أمام مرارة الواقع، وصعوبات المرحلة، وظل يحتفظ بروح التفاؤل وإرادة المقاومة؛ وما أحوجنا لهذا الطراز من التفكير في هذه المرحلة التاريخية العصيبة.

## الهوامش

١ د. فؤاد زكريا: «العقل العربي واتفاقية السلام» - جريدة «الحياة» ١٩٩٣/٩/٣٠م.

٢ محمد حسنين هيكل: «السلام الحاصر» - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٤، ص ٥.

٣ كريم مروة: «جدل الصراع مع إسرائيل وجدل السلام معها» دار الفارابي، بيروت ١٩٩٤، ص ٣-١٥

٤ عدنان السيد حسنين، كتاب مشترك مع د. حسن الجلبي: «سلم أوسلو» المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩٥ ص ١١٨-١٨٧.

٥ مروة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

٦ د. عزمي بشارة: «مشروعية تمثيل الإنتخابات» «الحياة» ١٩٩٤/٨/٣١.

٧ د علي الجرباوي: مجلة «السياسة الدولية» - العدد ١٢٠ - ابريل/نيسان/ ١٩٩٥م.

٨ د. إدوارد سعيد: «سلام أمريكي» - دار المستقبل العربي - القاهرة ١٩٩٤.

٩ مثلاً، د. فؤاد زكريا، محمد حسنين هيكل، كريم مروة، د. حسن الجلبي، د. عدنان السيد حسين، د. عزمي بشارة، برهان الدجاني، شفيق الحوت، علي الجرباوي، إدوارد سعيد، جورج جقمان.

١٠ شفيق الحوت، «الحل المرفوض» - دار الإستقلال للدراسات والنشر (أوراق الإستقلال ٢)، بيروت ١٩٩٤ ص، ١٩.

١١ د. عزمي بشارة: «من أجل تجنب نهاية ساخرة لإحدى مآسي القرن» - م الدراسات الفلسطينية - بيروت - العدد ١٦ - خريف ١٩٩٣.

١٢ د. عزمي بشارة «سياسة المراحل من النهر إلى البحر» - «الحياة» ١٩٩٣/٣/٥م.

١٣ هيكل مصدر سبق ذكره، ص ٥-٦.

١٤ د. الجلبي ود. عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

١٥ مروة: مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

١٦ د. جورج جقمان: «نظرة نقدية لدور المعارضة الفلسطينية» - «الحياة» ١٩٩٥/١٠/٢٦.

١٧ د. بشارة: مصدر سبق ذكره في «الحياة» ٨/٣١/ ١٩٩٤م.

١٨ د. بشارة: مجلة «الدراسات الفلسطينية»، مصدر سبق ذكره.

١٩ د. علي الجرباوي: مصدر سبق ذكره.

٢٠ هيكل: مصدر سبق ذكره، ص ٢٠●٣٩.

٢١ جوزيف سماحة: «سلام عابر» - دار النهار، بيروت ١٩٩٣؟ ص ١٠-٢٢.

٢٢ بلال الحسن: «السلام الأجوف» - دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٤ ص ١١-١٢.

٢٣ برهان الدجاني: «مفاوضات السلام» - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٩٤، ص ٥٢.

٢٤ فؤاد زكريا: مصدر سبق ذكره.

٢٥ هيكل: مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

٢٦ مروة: مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

٢٧ الدجاني: مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

٢٨ د. الجلبي: مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

٢٩ د. بشارة: مصدر سبق ذكره، مجلة «الدراسات الفلسطينية».

٣٠ مروة: مصدر سبق ذكره، ص ٧٠-٧٢.

٣١ جوزيف سماحة: مصدر سبق ذكره، ص ١٦-١٧.

٣٢ المصدر السابق، ص ١٤٥.

٣٣ هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

٣٤ الحوت: مصدر سبق ذكره، ص ٣٥-٣٦.

٣٥ الدجاني: ص ٨-٨١.

٣٦ الجلبي والسيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣-٢٣٤.

٣٧ الجرباوي: مصدر سبق ذكره.

٣٨ بشارة: «الحياة» مصدر سبق ذكره، ١٩٩٣/٩/٥م.

٣٩ كريم مروة: «العلاقات الإقليمية والدولية» جريدة «السفير» ١٩٩٤/١١/٢٠م.

### استمرار النقاشات حول الدستور الجديد

# السودان وثنائية الوحدة والديمقراطية

حسن العاصي

ثلاث ثنائيات متناقضة استحكمت بالوضع في السودان تاريخياً، بالرغم من تعاقب وتنوع أنظمة الحكم وهي: الوحدة والتجزئة، التخلف والنمو، الحرية والاستلاب، وهذا بالضبط ما يستدعي إلقاء نظرة إلى مسودة الدستور الدائم للسودان، الذي تم الإعلان مؤخراً عن ولادته، بعد مخاض استمر عدة أشهر صاحبه ساولات وجدل صاخب، تمحور أساساً حول حرية إنشاء التنظيمات السياسية أثارت جدلاً كبيراً. فهل يقدم الدستور الجديد الحلول السحرية لمشاكل السودان؟ أم أنه صورة منقحة عن الدساتير السابقة، وخطوة إلى الفراغ؟.

احتوت الوثيقة على مضامين جديدة في الحرية، والحقوق الأساسية، تجاوزت في سعتها الارث الدستوري السوداني العريق في الدساتير الديمقراطية المؤقتة، مضافاً إليها مبدأ الفصل التام بين السلطات، واستقلال القضاء، وسيادة القانون، وإن تم التقيد بهذه الوثيقة والعمل بموجبها، فسنكون أمام تطورات نوعية في السودان.

ففي الحقوق الأساسية ركزت الوثيقة على حق المواطنة، وهو حق أصبح ثقافة سائدة تتكرر في كل وثائق أحزاب المعارضة، وكفل الدستور الجديد حرية التنظيم بالنص على أن يكون لكل فرد الحق في تكوين الجمعيات وإنشاء التنظيمات السياسية، هذا النص تعرض للتشويه، بالتعديل الذي أجرته رئاسة الجمهورية، بإضافة كلمتي «التوالي السياسي» بدلاً من التنظيمات السياسية، وهذا ما أثار جدلاً صاخباً في الشارع السوداني، وحوت الوثيقة على مفاهيم جديدة في نصوصها ومحتواها، تخص تحريم التعذيب، وحق كل شخص في مستوى معيشي كافٍ له ولأسرته.

إن مشروع الدستور الذي أقره المجلس الوطني (البرلمان) سلم إلى رئيس الهيئة العامة للانتخابات، إيذاناً ببدء الإستعدادات لإجراء استفتاء شعبي عام عليه خلال أسابيع. ونأمل أن يشكل خاتمة لمسلسل اغتيالات الدستور والتعالي على أبسط القيم الديمقراطية، اللتين



كانتا صفة التجارب البرلمانية في السودان، التي بدأت مع اعلان الاستقلال عام ١٩٥٦ بداية ديمقراطية عبر صراعات التوازن بين حزب الشعب الديمقراطي وحزب الأمة من جهة، والحزب الوطني الاتحادي من جهة أخرى، إلى أن أعلن الفريق ابراهيم عبود استيلاء الجيش على السلطة عام ١٩٥٨ وقيام حكومة عسكرية أزالتها ثورة شعبية عام ١٩٦٤ معلنة ديمقراطية ثانية، اتسمت بصمود للقوى الاجتماعية الحديثة ممثلة بالخريجين والنقابيين، وعاد العسكريون مرة أخرى إلى الحكم بزعامة جعفر النميري عام ١٩٦٩ الذي تحالف مع قوى اليسار أولاً ثم انقلب ليتحالف مع التيار الاسلامي عام ١٩٨٣، لتبدأ ديمقراطية ثالثة عام ١٩٨٦ بعد فترة انتقالية (سوار الذهب شهدت نمواً للقوى الاسلامية وانحساراً لليسار، لينقض الجيش من جديد على السلطة بقيادة الرئيس البشير.

وهكذا فقد سيطر العسكريون على أكثر من ثلاثين عاماً من تاريخ السودان المستقل، في حين لم يتجاوز عمر التجربة الديمقراطية البرلمانية سوى عشر سنوات، إلا أن الحكومة السودانية الحالية تبدو جادة بمعالجة الوضع، وفتح ملفات المصالحة مع الجميع، ونحن نعوّل على أن تكون الخطوة الأخيرة للحكومة فرصة حقيقية لفتح حوار مع المعارضة، خاصة بعد أن قررت الحكومة اعادة ممتلكات خاصة كانت قد صادرتها من بعض قيادة المعارضة، وتأجيل الخدمة العسكرية الالزامية للطلاب المتفوقين، وترحيبها بالمؤتمر الذي دعت إليه مصر يجمع المعارضة والمسؤولين في حكومة الخرطوم للاتفاق على أسس المصالحة وانهاء الحرب واصدار عفو عام عن المعارضين، ترافق ذلك مع لقاء البشير مع المبعوث الشخصي للرئيس الكيني الذي بحث معه الترتيبات الخاصة بجولة المفاوضات التي ستعقد في كينيا آخر هذا الشهر بين الحكومة السودانية والجيش الشعبي لتحرير السودان بزعامة جون غارنغ. المعارضة السودانية التي حاولت التقليل من أهمية الاجراءات الأخيرة للحكومة، وبعضها رفض الدستور الجديد الذي وصفوه بأنه لا يمثل سوى تطلعات الجبهة الاسلامية الحاكمة، يبدو أنها تمترست خلف ذاتها وتمحورت حول نصوص وأصنام من صنع يديها، فمعركة الحريات والحقوق عندما تصل إلى الشارع السياسي، وتدور رحاها في وسائل الاعلام، تكون قد نقلت الكرة إلى مرمى المعارضة، وتكون قد فتحت ثغرة في جدار كانت المعارضة تعتبره جداراً أصمّ غير قابل للاختراق، وما عليها الآن سوى العبور لمحاورة السلطة، والابتعاد عن التشنج واتخاذ مواقف تؤدي إلى قطع الطريق أمام أية محاولة جادة للوفاق السياسي، إذ أن معركة الحريات لا يمكن حسمها بالضربة القاضية، في ظل موازين القوى الداخلية والخارجية.

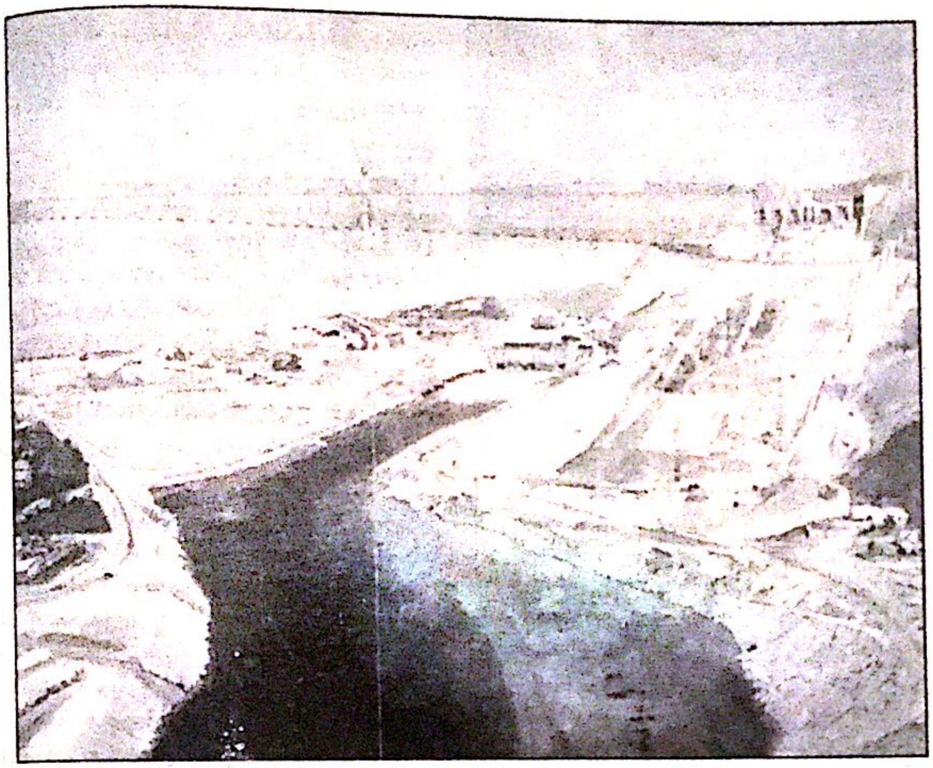
ليس أمام السودانيين، في الشمال أو الجنوب، غير صيغة واحدة للتعامل تكمن في استبعاد الأحاديات، والأخذ بمنطق التعدد غير المتناقض بما يؤسس لتوثيق الوحدة الجغرافية السياسية، لتأسيس الوطن في حد ذاته، ومن ثم بناء شخصية المواطن ودمج الهويات، وما دون ذلك كله هو إيذان بالتفكك، حين لا قوة ذاتية للسودان تؤهله لضبط الوحدة عسكرياً. لقد ورث السودان من بريطانيا ما هو أكبر من طاقته من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولن تعالج مشكلاته إلا إذا حملها الجميع بالتراضي، والوحدة والديمقراطية■■

## الاردن ينفي وجود اتفاق سرّي لتقاسم المياه مع اسرائيل

# ظـلال.. وشكـوك!

ناصر أبو العلا

**الخبر الذي نشرته الأسبوع الماضي، صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية حول اتفاق سرّي، عُقد بين اسرائيل والاردن، لتقاسم المياه في بحيرة طبريا، والذي سارع الاردن إلى نفيه على لسان وزير المياه والريّ الاردني الدكتور منذر حدادين، يثير في الحقيقة أكثر من تساؤل، وأكثر من علامة استفهام، تحتاج إلى متابعة، وتدقيق في أقوال الطرفين، للوقوف على الحقيقة، في محاولة لاستجلاء خلفيات المسألة ودوافعها.**



ليس خافياً على أحد، بطبيعة الحال، الأطماع الاسرائيلية في مياه المنطقة، حتى باتت مسألة المياه، والأمن المائي من القضايا الاستراتيجية الحساسة، بل هي برأي بعض المحلّلين، من القضايا التي قد تفجّر في المنطقة صراعاتٍ وحروباً في المستقبل، حتى لو تمّ جدلاً، تسوية الخلافات الأخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان هناك اتفاق سري بين اسرائيل والاردن حول هذه المسألة، فلماذا تسارع صحيفة اسرائيلية إلى إعلان هذا الاتفاق على الملأ؟!

وهل المسألة تتعلق بلعبة (الديمقراطية) الاسرائيلية أم أن هناك أهدافاً سياسية أكبر من ذلك ترمي فعلاً إلى زرع بذور الخلاف والشكوك بين الفلسطينيين والاردنيين والسوريين، لإظهار الصراع حول مسألة المياه وكأنه ليس فقط صراعاً عربياً - اسرائيلياً وإنما صراع عربي - عربي.

في الوقت الذي لا نستبعد فيه الهدف السابق، فإننا نتصور أن المسألة تتعلق باستراتيجيات اسرائيل لتسويق سيناريوهات معينة حول مسألة المياه والأمن المائي، القصد منها اختبار ردود الفعل العربية حول هذه المسألة الحساسة فعلاً.

لكن، ما يدعو إلى الشك من جانبٍ آخر، هو أن اسرائيل أو أي صحيفة اسرائيلية، مهما كانت دوافعها، ودرجة وقاحتها ليس بإمكانها أن تطلق إشاعة غير صحيحة، حول مسألة هامّة، كمسألة المياه دون الاستناد إلى أي أساس تبني عليه ما تشيعه، هي ربما، تحرّف الأمر بعض الشيء، أو تفسّره كما تريد، لكن لابد من وجود أساسٍ ما تبني عليه.

نعترف سلفاً، أننا نفتقد إلى المعطيات، والمعلومات الدقيقة حول المسألة، لكن هذا، لا يمنع من أن ندقّق، ونحلّل وبالتالي نستقرىء - على الأقل - في نص الخبر الذي نشرته صحيفة هآرتس، وبالتالي ندقق في نص النفي الاردني لهذا الخبر لنحدد نقاط التفارق، ونقاط التقاطع بينهما، لعلنا نصل إلى بعض الاستنتاجات الأولية حول المسألة.

حسب هآرتس: «هناك اتفاق سري اردني - اسرائيلي لتقاسم المياه، قد يثير احتجاج السوريين والفلسطينيين (...) والمشروع تمّ إعداده بين وزير البنية التحتية الاسرائيلي ارييل شارون، وولي العهد الاردني الأمير حسن بن طلال».

أشارت الصحيفة أيضاً، أن الأمير حسن، ورئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو وضعا اللمسات الأخيرة عليه في العاشر من مارس الماضي. واعتبرت الصحيفة الاسرائيلية أن المشروع يسمح للاردن الذي يعاني من نقص في المياه بأن «يخزّن في بحيرة طبريا مياه نهر اليرموك (أحد روافد نهر الاردن) التي تهدر حالياً جنوب البحيرة. وسيتم انشاء قناة

للربط بهذا الهدف، وسيسمح للاردن بهذه الطريقة بأن يحتفظ في البحيرة بكمية المياه التي يتم توفيرها. أما اسرائيل، فستضخ كمية مساوية من المياه في أعلى نهر الاردن، وستنقل المياه التي ستضخها إلى أحواض تجميع المياه في تعاونية كفار هاتاسي الزراعية قبل أن تسيل في قناة التحويل».

أخيراً قالت الصحيفة الاسرائيلية «ان العسكريين الاسرائيليين أكدوا أن اسرائيل ستجازف استراتيجياً بمنح الاردن نوعاً من السلطة على بحيرة طبرية (...) وأن هذا المشروع سيعزّز تعاونهما واتفاقية السلام التي وقعاها في العام ١٩٩٤».

لو حاولنا التدقيق في النص الاسرائيلي الذي نشرته هآرتس نجد أنه يؤكد على وجود اتفاق اسرائيلي اردني سرّي بهذا الشأن، قد «يثير احتجاجات سورية وفلسطينية». ثم يؤكد أن من أعدّ هذا الاتفاق هو اريئيل شارون عن الطرف الاسرائيلي والأمير حسن عن الجانب الاردني، ثم وضعَ اللمسات الأخيرة عليه في العاشر من مارس الماضي نتنياهو والأمير حسن. ثم يسرد الخبر الجانب الاجرائي لمحتوى الاتفاق وهو: تخزين مياه نهر اليرموك في بحرية طبرية، على أن يُعاد ضخ المياه بواسطة قناة للربط سوف تُنشأ لهذا الغرض.

لو تفحصنا الآن، نص النفي الاردني، الذي جاء على لسان وزير المياه والري الدكتور منذر حدادين نجده يركز على: عدم وجود أي اتفاق سري بين الطرفين، جاء هذا في تصريح له لصحيفة الشرق الأوسط، حيث يقول: «لا أسرار في كل ما نقوم به من إجراءات بشأن المياه مع اسرائيل، وإن جميع اتفاقيات الاردن مع اسرائيل بشأن مياه نهر اليرموك تمّ اطلاع السوريين والفلسطينيين عليها، كون الاردن له مشاريع مائية مع سورية منذ الاعلان عن إقامة سد الوحدة الذي توقف العمل به لظروف سياسية، إضافةً لما قد يكون هناك من تداخل في شؤون المياه مع الفلسطينيين».

إذن الوزير الاردني، ينفي فقط وجود شق سرّي في الاتفاق لكنه لا ينفي بالمطلق وجود اتفاقيات بهذا الشأن مع الاسرائيليين، وهذا ما يضعنا أمام حالة ملتبسة بعض الشيء، حيث تضيع الحدود بين المعلن و السري (إن وُجد).

أيضاً ينفي الوزير الاردني في تصريح له لوكالة الأنباء الاردنية قيام أي مسؤول اردني آخر، غيره، بتوقيع اتفاق بهذا الشأن، سوى ما توصل إليه هو باعتباره وزيراً للمياه والري، وكممثل للحكومة الاردنية في مباحثات تطوير اخدود وادي الاردن.

إذاً النفي الاردني، لا ينفي وصول الجانبين إلى الاتفاق حول بعض الحيثيات، لكنه ينفي قيام الأمير حسن تحديداً بمناقشة هذا الأمر مع المسؤولين الاسرائيليين، وبالتالي تفاهمه معهم حولها، وكأن المسألة تتعلق فقط بالجانب البرتوكولي، إذ لا يستطيع الوزير الاردني الهروب من المسألة حين يقول: «انه طرح في لقاءاته الأخيرة مع الوزير شارون امكانية زيادة التسهيلات التخزينية لمياه اليرموك الشتوية في طبرية، على أن تعاد للاردن في أوقات حاجته إليها.. كما تم بحث امكانية بناء جدار تحويلي عند نفق قناة الملك عبد الله لتحسين كفاءة تحويل المياه الاردنية».

وبيّن الوزير الاردني «أن الجانبين توصلا إلى تفاهم مبدئي حول هذين الأمرين خلال الاجتماعات الدورية المنعقدة في ١٨ شباط و٨ آذار و١٠ آذار من هذا العام.. موضحاً أن هذا التفاهم سيصبح نهائياً بعد الموافقة الرسمية عليه من كلا الجانبين».

إذاً، الجانب غير المقنع في الموضوع، هو اختزال مسألة استراتيجية تتعلق بالأمن المائي للمنطقة، إلى مجرد قضية تمثيلية.

ربما مسألة تقاسم مياه بحيرة طبريا، التي نفاها الوزير الاردني مسألة مبالغ بها من قبل اسرائيل، لأنها تعمل فعلياً واستراتيجياً على ابتلاع الحصة الأكبر من مياه المنطقة، وليس فقط من مياه نهر الاردن والدليل على ذلك مناوراتها الواسعة، ومشاريعها العديدة التي ترسمها للسيطرة على مياه جنوب لبنان، ومحاولاتها سحب مياه الليطاني، كذلك أطماعها التي لا تخفى في مياه الجولان، لذلك قد يكون هدف التركيز الاسرائيلي على هذه النقطة هو زرع اسفين الشك بين الفلسطينيين والاردنيين، لفتح صراع مكشوف بينهما حول مياه طبريا، لذلك نجد المسؤول الاردني الذي يعرف حساسية هذا الموضوع يسارع إلى القول: «إن الاردن يصرُّ على انتزاع حقوقه المائية كاملةً، لكنه لا يقبل أبداً تحقيقها على حساب أطراف عربية أخرى». ثم يقول: «إن الاردن أحجم عن المضي في مشروع سد على نهر اليرموك العام الماضي، أثيرت الشبهة حول موقع امتداد بحيرته، لأنها قد تتعدى على أراض متنازع عليها بين اسرائيل وسوريا والفلسطينيين».

لا يمكن بطبيعة الحال، مناقشة حق الاردن الطبيعي والتاريخي بمياهه، لكن ما يؤخذ عليه هو طريقة تعاطيه مع اسرائيل لحل هذه المسألة حيث ابتعد عن التنسيق مع أشقائه، لاتخاذ مواقف موحدة ومشتركة تجاه هذه القضية، وطبعاً أسّ المشكلة يكمن في توقيع اتفاقية وادي عربة بين اسرائيل والاردن، التي كانت مسألة المياه أحد تفرعاتها، حيث تجري بين الطرفين مناقشات دورية لحلها وهذا ما يترك ظلالاً من الشكوك لا يمكن تبديدها فقط من خلال تصريح هنا، أو هناك ■■

## بيان صحفي
## صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الثلاثين من آذار، يحتفل الشعب الفلسطيني في المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨، وفي كافة أماكن تواجده، بالذكرى الثانية والعشرين ليوم الأرض المجيد، والذي أعلنت فيه جماهير شعب فلسطين في مدن وقرى الجليل والمثلث وعلى امتداد الأرض الفلسطينية تمسكها الثابت بكل حبة من تراب الوطن.

ان ذكرى يوم الأرض حافلة بالمعاني والدلالات، لأن هبّة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، أكدت الوحدة العضوية لشعب فلسطين وحركته الوطنية، هذه الوحدة التي دأبت الحركة الصهيونية واسرائيل على بعثرتها وتفتيتها في محاولة لتحويل شعبنا الموحد إلى مجموعات سكانية. وهذا هو الخطر الجوهري والهدف الحقيقي لاتفاقيات أوسلو - واشنطن التي هددت ولازالت وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة كفاحه ومصيره ومستقبله.

ان الوفاء لمعاني يوم الأرض يستوجب اعادة النظر بصورة جادة بكل الأوهام والرهانات الخاسرة التي مارستها القيادة المتحكمة بـ م.ت.ف والتي أوقعت أفدح الأضرار بالقضية الفلسطينية والعربية.

ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تشد على أيدي جماهير شعبنا في الجليل والمثلث والنقب وكافة المناطق المحتلة في فلسطين، الذين يقومون بأوسع النشاطات لاحياء هذه الذكرى الخالدة، وتجدد العهد على مواصلة الكفاح بمختلف أشكاله مؤكدة على وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة كفاحه لانتزاع كامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

المكتب السياسي
١٩٩٨/٣/٢٩

# «تحديات الأمن القومي العربي في ظل ثورة المعلومات»

إعداد: لواء أ.ح / أحمد فخر**

## أولاً: خلفية عامة

لا أحد يستطيع أن ينكر أن العالم اليوم يعيش ثورة شاملة في مجال المعلومات، ولعلنا ـ في تبسيط شديد ـ يمكن أن نلخصها في أننا تعارفنا على أن الحدث «هو ما حدث فعلاً» ثم تصلنا المعلومات عنه بعد فترة زمنية ـ تتوقف على مدى تطور تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال ـ ثم نأخذ فترة زمنية أخرى ندرس فيها الحدث وأبعاده ـ تتوقف على ما يتوفر لنا من وسائل تشغيل وترتيب وتحليل المعلومة ـ ونخرج من ذلك بمواقف تجاه ما حدث أو بدروس مستفادة نرتب عليها مواقفنا المستقبلية.

واليوم أدت ثورة المعلومات إلى أن الحدث: «هو ما يحدث فعلياً ولحظياً in real time» بما يمكننا من مراقبة لحظة حدوثه ونتابع تطوراته وتراكماته ونشغل الـprocess ونرتب ونحلل ما يحدث لحظة بلحظة ومن ثم يمكننا أن نتخذ من المواقف أو القرارات التي تؤثر على مساره خلال مشوار حدوثه الأمر الذي يجعلنا أكثر قوة وقدرة في التأثير على مجريات الأمور وهذا هو لب مفهوم الأمن ودرجة قوته أو ضعفه. وبعبارة أخرى لقد ألغت ثورة المعلومات بما توفر معها ولها من تكنولوجيا فهمنا وإدراكنا القديم لبعد الزمان بل ولبعد المكان أيضاً!!

وإذا كانت ثورة المعلومات هذه قد جعلت من العالم والكون قرية صغيرة: اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً لا يمكن إخفاء ما يحدث في طرف منها عن عقول وعيون طرف بعيد آخر فمما لاشك فيه أن هذه الثورة أيضاً قد وضعت بصماتها على الأمور الأمنية والعسكرية.

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن مدارس الفكر الأمني والعسكري قد بدأ اهتمامها بتناول ثورة المعلومات في منتصف الثمانينيات في مرحلة المكاشفة التي بدأها الرئيس السوفييتي السابق جورباتشوف عندما توالت الكتابات السوفييتية المنشورة عن «حروب المستقبل Future Warfare» والتي ركزت فيها القيادات السوفييتية العسكرية ـ وقت استشعارها بنهاية الحرب الباردة ـ على أن عصراً جديداً من الحروب قد بدأ وان هذا العصر سيعتمد على حجم وطاقة المعلومات الجديدة في إدارة الحروب التقليدية وايجاد الأنماط التكنولوجية العسكرية التي تتواءم مع حجم وطاقة هذه الثورة الجديدة في المعلومات مما سيؤدي إلى أن يصبح للأسلحة التقليدية تأثيراً عسكرياً يماثل تأثير الأسلحة النووية التكتيكية التي تستخدم في مسارح العمليات وتتميز عنها بأنها لا تخلف الآثار الجانبية البشعة التي تسببها الأسلحة النووية.

وقد تضمنت كتابات العسكريين السوفييت ـ وقتها ـ تعبيرات عسكرية مستحدثة مثل: الضربة الاستطلاعية Reconnaissance-Strike أو تعبير الاستطلاع التدميري Reconnaissance destruction وكلاهما يعني: اختصار العمل الزمني من مرحلة استطلاع للحصول على معلومات إلى مرحلة تجميع وتحليل هذه المعلومات إلى مرحلة اختيار الأهداف التي يلزم مهاجمتها وتدميرها استناداً إلى تحليل المعلومات إلى مرحلة التدمير الفعلي وتقييم الخسائر بعد انتهاء الهجوم: اختصار مراحل العمل الزمني هذا في مرحلة واحدة توفرها تكنولوجيا المعلومات المتطورة وتتضمن تأكيد معلومات الاستطلاع والقيام بتدمير الأهداف في نفس المرحلة الواحدة. وقد قدرت الدراسات السوفييتية ان هذه المرحلة ـ في إطار ثورة وتكنولوجيا المعلومات ـ قادرة على تدمير قدر وحجم كبير من الأهداف وتشكيلات القتال على أعماق تصل إلى مئات الكيلومترات وخلال فترات زمنية لا تزيد في طولها عن ثلاثين أو خمسة وأربعين دقيقة الأمر الذي أطلق عليه «الثورة العسكرية الفنية Military Technical Revolution».

لقد ارتبطت ثورة المعلومات باستحداث تكنولوجيات متطورة توفر إمكانية عالية لجمع وتخزين وتشغيل ونقل المعلومات وطرحها على أجهزة إلكترونية وشاشات مرئية تغطي ما يحدث لحظياً في مناطق ومسارح عمليات جغرافية متسعة للغاية. وقد أثرت هذه الإمكانيات على المفهوم الرئيسي للردع الذي ساد الفلسفات العسكرية خلال فترة الحرب الباردة والقطبية الثنائية في عدة اتجاهات:

١ـ ان استخدام القوة المسلحة في مواجهة عسكرية كان هو أساس التهديد في النظام الدولي خلال الحرب الباردة بينما أدى انفجار ثورة المعلومات في إطار العالم سريع التغير والذي أصبح قرية صغيرة إلى أن أصبحت المعلومات والتكنولوجيا المرتبطة بها هي المركز الرئيسي في العلاقات الدولية الجديدة.

٢ـ ان مفهوم الردع العسكري كان يعتمد على درجة التوازن بين ما يملكه طرف من إمكانيات عسكرية وما يتوفر له من إرادة سياسية بينما أدت ثورة المعلومات إلى أن توفرها المبكر واللحظي سوف يؤدي إلى السيادة المعرفية فيما يتعلق بمسارح العمليات وبما يتوفر لها من إمكانيات عسكرية ويتحول الردع إلى القدرة على التعرف الشامل ـ عن طريق توفر المعلومات ـ على إمكانيات ونوايا الطرف الآخر.

٣ـ ان الردع العسكري كان يحمل بين طياته درجة من الغموض المتعمد حتى يزداد حذر الطرف الآخر بينما توفر ثورة المعلومات والتطور التكنولوجي المرتبط بها ـ فهما كاملا بأقل درجات الغموض لدى القيادات السياسية والعسكرية لما يحدث فعلاً من أمور ومتغيرات مما يؤدي إلى مزيد من الشفافية والمزيد من المعرفة والقدرة على التنبؤ قبل حدوث الأزمة أو الصراع أو النزاع والذي كان يتطلب اتخاذ إجراءات ردع، وأوصل مدارس الفكر العسكري إلى ما يطلق عليه شفافية ما قبل الأزمة Pre-Crisis Transparency. وهو أمر بالغ التأثير... فإنه إذا أمكن مشاركة هذه المعرفة ـ في الوقت المناسب مع أطراف متعددة ـ فسيتغير شكل التحالفات العسكرية الرادعة قبل حدوث العدوان.

٤ـ استبدال مفهوم الردع النووي والمظلة النووية في علاقات الأمن القومي بما يطلق عليه حالياً مظلة المعلومات Information Umbrella.

مما سبق يتضح ان الطرف الذي سوف يمتلك القدرة والامكانية التكنولوجية للوصول إلى معرفة شاملة ومعلومات لحظية time-real ودقيقة ومتابعة مستمرة للمواقف العسكرية والسياسية المتغيرة سيكون هو الطرف الجاذب للتحالفات الأمنية والطرف الذي يقود أمنيا وعسكرياً وتلتف حوله باقي الأطراف التي تشاركه المصالح والأهداف مغيرين بذلك ما سبق التعارف عليه بأن الذي يملك القدرة النووية هو الذي يملك التأثير الأكبر أي أنه ببساطة إذا كان العنصر النووي قد اعتبر انه العنصر الذي يسود ويقود التحالفات الأمنية والعسكرية فإن الجديد هو أن عنصر المعلومات وتكنولوجياتها سيصبح هو العنصر الذي يسود ويقود التحالفات الأمنية والعسكرية الجديدة.

## ثانياً: الأفكار العسكرية الرئيسية المطروحة فيما يتعلق بثورة المعلومات

هناك ـ على الأقل أربع أفكار رئيسية تسود البنية العسكرية العلمية حالياً فيما يتعلق بتأثير ثورة المعلومات على موضوعات الأمن القومي والقدرات العسكرية ومن ثم على مفاهيم الاستراتيجيات العسكرية والأداء القتالي نستعرضها فيمايلي:

١ـ مدرسة نظام النظم System-of-System

وترى هذه المدرسة الفكرية العسكرية ان ثورة المعلومات قد استكملت جوانبها الأساسية وأدت

فعلاً بما لا يدعو للشك إلى ثورة في الشؤون العسكرية والأمنية، ان ما حدث من آثار هذه الثورة يمثل أخطر منعطف أمني وعسكري في الفكر العسكري منذ اختراع الأسلحة النووية منذ نصف قرن مضى.

وتستند هذه المدرسة الفكرية إلى ان انفجار المعلومات أدى إلى تفوق في المعرفة الأمنية والسياسية نبع من التفوق في التكنولوجيا والتفوق في القدرة على الربط بين تكنولوجيات ثورة المعلومات الجديدة لتعمل سوياً في تجانس الأمر الذي غيّر من العقائد والاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية وأسلوب ادارة عمليات الأمن القومي.

وتؤكد هذه المدرسة الفكرية إلى النجاح في عملية الربط هذه بين:

ـ مرحلة جمع المعلومات والمسح الاستراتيجي الأمني والاستطلاع العسكري أو ما يطلق عليه: ISR

Inteligence Collection + Surveillance + Reconnaissance

ـ مع مرحلة القيادة والسيطرة والاتصال واستخدام الحاسبات والمخابرات C4I

Command - control- Communication - Computer - Intelligence

ان أجهزة الاستشعار التي تعمل في مجال ISR ستوفر مسحاً معرفياً مستمراً يرسل بكفاءة في وقت حدوث الأمر أو المتغير In real - time تحت كافة الظروف الجوية وعلى مساحة جغرافية هائلة وتصل هذه المعلومات الدقيقة اللحظية التفصيلية إلى مجال C4I مما يؤدي إلى السيادة على الفضاء والمساحة القتالية Dominant Battlespace Knowledge مما يترتب عليه عدم تناسب بين ما يعرفه الطرف الذي يملك والطرف الذي لا يملك.

ان هذه السيادة المعرفية ستمنح صاحبها الفرصة لقفزة مبكرة في تحليل المعلومة وتحديد صورة الامكانيات وصورة القتال الفعلي وتوفر البيانات عن القوات المتضادة في مسارح العمليات بأشكال وأنماط يجعل استخدامها في اصدار القرارات الأمنية والعسكرية لحظياً ومباغتة تنقل إلى الطرف الأخير والمنفذ في نظام النظم وهو أنظمة وقوات التدمير الدقيق Presicion Forces.

ان هذا الربط سوف يؤدي إلى ضربات عسكرية بالغة الدقة بالغة السرعة قاتلة إلى أقصى حد ومن أنظمة على مدى غير منظور من الطرف الآخر.

٢ـ المدرسة الفكرية الثانية: مدرسة عدم التيقن Uncertain Revolutionaries

تتفق هذه المدرسة الفكرية الثانية مع المدرسة الأولى بأنه من المحتم أن نشاهد متغيرات جذرية في ادارة أعمال الأمن القومي والقتال العسكري ولكنها تختلف معها في أن ثورة المعلومات لازالت في مراحلها الأولى وانها ستتطور بطريقة أعمق وأشمل.

وتشير هذه المدرسة إلى أن تطور التكنولوجيا القادرة على استخدام ثورة المعلومات لازال يتحرك خاصة في مجال الربط بين أجهزة الاستشعار



والميني كمبيوتر وأنظمة القتال عالية الدقة. وتشير هذه المدرسة إلى مسيرة التطور في حجم المعلومة ودقة التدمير التي ظهرت في حرب اكتوبر ١٩٧٣ كانت نتيجة قدرات مستقلة غير مترابطة بين أنظمة الصواريخ أرض جو وأنظمة الصواريخ المضادة للدبابات والسفن بينما تطور الأمر في حرب تحرير الكويت فقد تم نوع من الترابط بين المعلومة وأنظمة التسليح أدى إلى تدمير آلاف الأهداف البرية والجوية العراقية ومن ثم فإن التطور جار وحادث، ولم يصل إلى نهايته... فقد تطور منذ ٧٣ إلى مزيد من الترابط عام ١٩٩٢ وإلى نماذج أصغر ولكن أكثر تطوراً كما في الضربة الجوية الأمريكية في البوسنة عام ١٩٩٥. ومن ثم فالمستقبل هو الذي سوف يحدد تحديات ثورة المعلومات والتكنولوجيات تحت الانتاج لموضوعات الأمن القومي والقتال وليس ما تم التوصل إليه فعلاً.

وتشير هذه المدرسة الفكرية أيضاً إلى أن التاريخ يشير إلى ان نجاح أعمال الأمن القومي والقتال العسكري لا يعتمد فقط على التفوق التكنولوجي بل على التنظيم والبناء العسكري ومفاهيم العمليات العسكرية فألمانيا لم تهزم انكلترا وفرنسا عام ١٩٤٠ بسبب تفوقها في تكنولوجيا المدرعات أو أعدادها بل بسبب ابتكارهم تنظيماً عسكرياً مدرعاً هو فرق البانزر ومفهوم عمليات الاختراق المدرع وهذان التطوران هما اللذان أدّيا إلى نجاح استغلال التكنولوجيا وليس العكس كما تشير المدرسة الأولى.

ومن ثم فإن التحدي الحقيقي الذي تطرحه هذه المدرسة هو القدرة على الابتكار الفكري ومعايشة مرحلة من التجارب الفعلية فنظام النظم ليس هو النهاية بل ان هناك المزيد من الجديد من أنظمة التسليح التي سيتم اختراعها والجديد من التنظيمات العسكرية ومفاهيم القتال المستحدثة والتي ستهدف جميعها للاستفادة من ثورة المعلومات وان العديد منها سيفشل خلال التجربة العملية الفعلية.

وتؤكد المدرسة على عدم التيقن المبكر لأن معظم التكنولوجيات التي دفعت وتمشت مع ثورة المعلومات نبعت جميعها من أصول ابتكارية من القطاع المدني ـ وليس تحت سيطرة وفكر العسكريين ـ ومن ثم فعلينا توقع المزيد لدى أطراف دولية متعددة سوف تصعّب للغاية من ظاهرة سيادة طرف واحد بل ظهور منافسين آخرين، الأمر الذي يهز بصورة أو بأخرى فكرة احتكار السيادة في الاستفادة الأمنية والعسكرية من ثورة المعلومات.

٣ـ المدرسة الفكرية الثالثة: مدرسة مقاتلي حرب الخليج The Gulf War Veterans

وهي مدرسة مبنية على خبرة عملية في الاستخدام تفوق الخبرة البحثية والأكاديمية وتنتشر أفكارها بين معظم الذين شاركوا في حرب تحرير الكويت واستخدموا فعلياً أنظمة تسليح اعتمدت على ثورة المعلومات. وكمثيلتها السابقة تعتبر ان التجربة الفعلية أثبتت أن هناك تطوراً مرحلياً في ثورة المعلومات والأداء العسكري ظهر في الفرق بين مراحل الاعداد في درع الصحراء ومراحل القتال الأولى في عاصفة الصحراء والتطور المرحلي المستمر الذي حدث خلال تصاعد عمليات القتال الفعلي. وهي مدرسة تؤمن بقيمة المعلومة وقيمة التكنولوجي المتقدم ولكنها تضع تدريب الأفراد على قمة السلم. فبدون تدريب متميز لا يصبح للمعلومة قيمة ضخمة أو للتكنولوجيا أثر جذري وتسترجع هذه المدرسة أن التكنولوجيا التي كانت متوفرة للقوات المسلحة المصرية عام ١٩٧٣ في مجال الحرب الالكترونية والصواريخ المضادة للطائرات والمضادة للدبابات لم تكن متفوقة عما لدى اسرائيل، كذلك لم تمتلك التفوق في المعلومات... ولكن التدريب الراقي والمكثف للمقاتل هو الذي عظم استخدام التكنولوجيا والمعلومة في مواجهة أحدث نظم المعلومات وتكنولوجيات أنظمة التسليح الأمريكية التي كانت متوفرة في ذلك الوقت.

وتشير هذه المدرسة إلى تحد جديد يواجه الأمن القومي ولا تستطيع ثورة المعلومات أو التفوق الساحق في أنظمة التسليح التقليدية مواجهته وهو تحدي العمليات الارهابية أو استخدام أسلحة الدمار

الشامل وكلاهما يستلزم بجانب المعلومة وأنظمة تسليح متقدمة إلى أنواع راقية من التدريب التخصصي.

٤ـ المدرسة الرابعة: مدرسة المتشككين The Skeptics

وهي مدرسة تجمع بين العديد من المؤرخين العسكريين وبعض العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية على أسلحتهم الحديثة وهي مدرسة ترى أن أية ثورة في أمور الحرب تتم بالتدريج وعلى مراحل وتستغرق مدداً أطول لتتحقق بالفعل ولا تنخدع بالظواهر البدائية المبهرة. وتضرب مثالاً لذلك بأن الثورة في الفكر العسكري الفرنسي أيام نابليون بدأت من ثلاثين سنة قبل استخدامها الفعلي وأن مفهوم الاختراقات العسكرية الألمانية في الأربعينيات هي نتيجة تطور مرحلي يتأكرس مستفاد من الحرب العالمية الأولى. كما يشير الدارسون العسكريون في هذه المدرسة إلى أن حرب الخليج لا تعتبر نموذجاً يمكن القياس عليه بسبب سوء ادارة العراق لادائه القتالي مهما سهل وضوح الأهداف لتكنولوجيا التحالف مما أعطاها ابهاراً أكثر من حقيقتها.

وهذه المدرسة بالرغم من اعترافها بحدوث نقلة في ثورة وتكنولوجيا المعلومات وتأثيرها على الحرب إلا انها تظل تستند إلى أن العنصر البشري هو الذي يقود استخدام التكنولوجيا وثورة المعلومات وليس العكس. وهي تطالب بأفضل تسليح بشرط أن يستخدمه أفضل الرجال.

## ثالثاً: حرب المعلومات Information Warfare

اعترفت كافة المدارس العسكرية الفكرية المعاصرة بأن هناك ثورة قامت وتقوم في مجال المعلومات، أثرت وتؤثر على الأمن القومي والقتال والصراع المسلح. وإن كانت هذه المدارس قد اختلفت فيما بينها في مدى وعمق الأثر واستقرار استمراره إلا انها جميعاً أشارت إلى ما يطلق عليه صراع وحرب المعلومات. وقد تساءلت هذه المدارس الفكرية العسكرية: هل ثورة المعلومات قد أدت إلى ظهور وثبوت نمط جديد تماماً من الحروب وتحديات الأمن القومي يبنى على أساس ثورة المعلومات الكونية السائدة؟ أم أن ثورة المعلومات قد غيرت من تحديات الأمن القومي وأدت إلى تطوير في التكنولوجيا استناداً إلى مهارة العقل البشري وأن العنصر الانساني لايزال في مقدمة العوامل المؤثرة على الصراع في عصر ثورة المعلومات؟

ومن ثم ظهر ما أطلقت عليه كافة المدارس العسكرية الفكرية المعاصرة: حروب القرن الحادي والعشرين والتي تحددت معالمها الرئيسية في الآتي:

- حرب مراكز القيادة والسيطرة.
- حرب معلومات المخابرات.
- حرب المعلومات الالكترونية.
- استخدام المعلومات في عمليات الحرب النفسية.
- حرب تدمير نظم المعلومات.
- حرب المعلومات الاقتصادية.
- حرب تقييد المعلومات الفعلية.

مما سبق يتضح أن محاور الأمن القومي سوف تواجه بنمط متطور وجديد من الصراعات والحروب التي أوجدتها ـ ولاتزال توجدها ـ ثورة المعلومات. ويمكن تلخيص ما سيواجه الأمن القومي في هذا المجال بصورة رئيسية فيمايلي:

- حرب المعلومات ضد القطاع العسكري والقوات المسلحة.

١ـ الهجوم المعلوماتي للحد من قدرة أجهزة القيادة والسيطرة على تحليل الموقف واتخاذ القرارات اللحظية المناسبة.

٢ـ الهجوم المعلوماتي على الاشارات والنبضات الالكترونية المرسلة أو التي يتم استقبالها سواء في أجهزة القيادة والسيطرة أو أجهزة الاستطلاع والاستشعار أو أي تجهيزات الكترونية مركبة ومصممة ضمن نظم التسليح المختلفة مما يعطل ارسال واستقبال الاشارات أو يشوشر عليها أو يقلل من كفاءتها ووضوحها أو يقلل من تدفقها.

٣ـ الهجوم المعلوماتي على كافة الأجهزة والمعدات التي تستخدم معلومات المخابرات وبيانات المواقف العسكرية لاتخاذ أوضاع الأداء القتالي المناسب ويتم هذا الهجوم على كافة معدات الاستطلاع والمخابرات ومعدات تحديد الأهداف وتسجيلها وتصويرها كذلك كافة معدات ووسائل تقييم الخسائر بعد أي عملية عسكرية.

حرب المعلومات ضد المجتمع

الحرب المعلوماتية النفسية عن طريق استخدام المعلومات التي توفرها ثورة المعلومات وتكنولوجيات استخدامها للتأثير على ادراك الأطراف الأخرى بطبيعة الصراع وإخفاء وتمويه النوايا وتوجهات أي أطراف أخرى بما يزيد من ضباب الصراع وعدم القدرة على التنبؤ المبكر.

استغلال كافة المعلومات المتوفرة والمتبادلة في مجال التجارة والواردات والصادرات وقدرات الانتاج الاقتصادية بغرض إخفائها عن طرف أو الاستفادة بها لطرف ضد طرف مما قد يؤدي إلى تصعيد العلاقات إلى حد الحظر الاقتصادي أو المقاطعة الاقتصادية الشاملة أو انهيار الأسواق التجارية والمالية باعتبارها من مجالات تهديد الأمن القومي الشامل.

التداخل في شبكات الكمبيوتر والأجهزة الحاسبة Cyberwar (Combat in the net) ومن ثم يمكن التوصل إلى معلومات تستخدم في الحرب ضد فرد أو مجموعة أو دولة أو تشل قدرته وقراءته... أو تغذية هذه الأجهزة بمعلومات مضللة أو جراثيم وفيروسات.

استخدام Software غير جيد سواء في النوع أو التكوين أو نظافة المعلومات بغرض تدمير أو تعطيل أو الاقلال من قدرة أنظمة المعلومات المدنية أو العسكرية في كافة مجالاتها.

رابعاً: التحديات التي تواجه الأمن القومي في ظروف ثورة المعلومات

ان ظهور ما يطلق عليه الحرب فوق التقليدية Ultra coventional warfare أو ما اصطلح عليه Sophisticated Conventional War - SCW قد نبعت من ثورة الميكروالكترونيات والتطور السريع في تكنولوجيا الصواريخ إلا انه يجب أن نعرف ان هذا التطور قد أخذ وقتاً ليس بقصير فقد بدأت ثورة الميكروالكترونيات عام ١٩٤٠ باختراع الترانزستور أما جذور تطور تكنولوجيا الصواريخ فقد ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية مع انتاج الصاروخ الماني VTO وقد تصاعد التطور عام ١٩٧١ باختراع Micro-processor وقد أدى ذلك إلى انتاج mini-computer، بطاقات عالية للغاية فوق الوصف في التعامل مع البيانات والمعلومات والتي تستخدم حالياً في الصواريخ والحرب الالكترونية والاستطلاع الجوي المحمول. كما ان هذا التطور قد أدى إلى تطور بالغ في أجهزة الاستشعار صغيرة الحجم فائقة الحساسية والتي تعمل ليلاً ونهاراً والتي يمكنها اكتشاف الاشعاعات المختلفة ويمكن لأجهزة الاستشعار هذه أن تحل كافة صور الأهداف الأرضية أياً كانت طبوغرافيا مسرح العمليات.

ان هذا التطور يشير إلى ضرورة امتلاك المجموعة العربية وانتاجها لهذه الشبكة المتعددة من أنظمة تسليح معلومات مختلفة بدءاً من أجهزة الاستشعار والملاحة والاتصال ووسائل حملها حيث ان ذلك يمكن استخدامه في حرب المعلومات ضد مراكز القيادة والسيطرة في التعرف اللحظي على الموقف في مسارح العمليات ومن ثم اعطاء الأوامر اللازمة لتدمير الأهداف عن بعد وبدون الاحتكاك والرؤية المباشرة، الأمر الذي يعطي لمن يمتلك مثل هذه الأنظمة يداً أعلى وأكبر في ادارة عمليات القتال. كما انها تعطي الدول التي تمتلكها القدرة على الردع بالمعلومات وهي الظاهرة الجديدة التي نبعت من ثورة المعلومات.

ولهذا فإن السبق للقطاع المدني في تطوير ثورة المعلومات وابتكار معدات والتي استفادت منها مثل الانترنت وInformation supper highway أو الأقمار الصناعية المدنية وقد ظهر ذلك في تكنولوجيا الالكترونيات وتشغيل الاشارة signal processing والاتصالات التليفونية المتطورة والتطور في الأجهزة الحاسبة هذا يتطلب التركيز على البحوث والتطوير في مجال التكنولوجيا المدنية والتكامل العربي فيها حتى يمكن الاستفادة منها في تعزيز الأمن القومي والوطني وعدم الاكتفاء فقط بنقل تكنولوجيا ثورة المعلومات من الدول المتقدمة. وقد ظهر ذلك في استفادة التكنولوجيا العسكرية من تكنولوجيات الفضاء المدنية خاصة في موضوعات الاتصالات ومعلومات المخابرات والاستطلاع وتحديد الأهداف باستخدام الأقمار الصناعية المدنية.

ظهر التطور في التسليح باعتماد المخططات الاستراتيجية الحديثة ومعدات الاستطلاع الأرضي ومعدات توجيه النيران في الأسلحة البرية والبحرية اعتمادها على أجهزة كمبيوتر حاسبة

طورت وتقدمت في القطاعات المدنية ومن ثم يلزم على الدول العربية التعمق في الصناعات الالكترونية عن طريق التكامل سواء في Software/Hardware.

إن المنطقة تمر بمرحلة انتقالية سواء في عملية السلام العربية الاسرائيلية أو الاستقرار غير المنتظم في أمن الخليج أو تصاعد أدوار جديدة في المنطقة لم تتضح أعماقها بعد مثل الدور التركي والايراني ودول الكومنولث المستقلة بالاضافة إلى توجهات الشراكة الأوروبية العربية، الأمر الذي يجعل المحددات بتهديدات الأمن القومي الوطني والعربي للمصالحة في حالة من السيولة. ومن ثم فيجب أن يكون لدينا أكثر من سيناريو في حالة نجاح كل هذه الجهود أو فشل كل هذه الجهود أو بعضها حتى يمكن الحد من التحديات الموجهة للأمن القومي العربي في اطار ثورة المعلومات وأسلوب تعميق هذا الأمن طبقاً لما ستسفر عنه المحاولات التي توجد بعاليه إلا أنه في أي الأحوال فهناك مبادىء عامة يجب الحرص عليها في اطار ما يطلق عليها ثورة المعلومات لما يحدثه من تأثير على الأمن القومي العربي. وأهم هذه المبادىء مايلي:

١. أن تحدد المجموعة العربية بوضوح دورها الوطني والقومي في كل من الاحتمالات السابقة.

٢. أن تصبح المجموعة العربية قوة اقتصادية متكاملة في مواجهة حرب المعلومات الاقتصادية السابق الاشارة إليها.

٣. أن يستمر التطور الجاري في القوات المسلحة العربية وطنياً وقومياً بحيث تصبح منتجة لأنظمة تسليح ووسائل حرب المعلومات وليست مستوردة لها فقط حتى يمكن في حال نجاح التوجهات السلمية في المنطقة أن تمتلك القدرة على المشاركة في المعلومات الأمنية المبكرة المتعلقة بأية تطورات في المنطقة حتى يعطيها قدرة التأثير على أية أزمات أو نزاعات تبدو أو تظهر بعد نجاح الجهود السلمية أو إمتلاك القدرة لمواجهة أية تهديدات جديدة ستنشأ نتاج فشل الجهود السلمية.

من الواضح أن ثورة المعلومات سواء كانت قد وصلت إلى ذروتها كما تنادي بعض المدارس الفكرية أو لازالت في مراحل تطورها كما تنادي مدارس فكرية عسكرية أخرى تستلزم الآتي حفاظاً على الأمن الوطني والقومي العربي في مواجهة تحديات ثورة المعلومات:

١. تطوير نظم التعليم بحيث تنشئ علاقة جديدة بين الدارس والآلة حتى يصبح استخدام نظم المعلومات مدنياً غريزة تلقائية لدى المواطن والتي تؤدي به إلى سرعة استيعابه لأنظمة التسلح التي تستند إلى ثورة المعلومات عند التحاقه بالخدمة العسكرية.

٢. أن تبنى فلسفة التعليم على القدرة على الابتكار والاختراع وليس على التلقين فإن ثورة المعلومات ستظل مجالاً للتطور المستمر والذي يحتاج قدرة تخيل عالية تؤدي إلى ابتكار معدات مدنية وعسكرية للاستغلال الأمثل لثورة المعلومات.

٣. لقد أدركت القوات المسلحة للدول العربية أهمية ثورة المعلومات ونظم التسليح المرتبطة بها وظهر ذلك في التكنولوجيا المتوفرة عام ١٩٧٣ وفي تكنولوجيا قوات التحالف الدولية في حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ إلا أن التطور السريع في حجم وكمية المعلومات اللحظية يلزم أن تؤدي إلى اعادة النظر في شكل وحجم ونوعية الأسلحة والمعدات بحيث يحدث تكامل في إطار استخدام المعلومة فإذا ما توفرت معلومة في مجال الصراع البري فإن ثورة المعلومات يمكن أن تنقلها لحظياً إلى نظم تسليح بحرية يمكنها تحقيق الهدف العسكري وليس بالضرورة الاعتماد على المهام المخصصة لكل فرع من أفرع القوات وذلك سوف يدعو لاعادة النظر في أسلوب مركزية / لا مركزية القيادة والسيطرة.

٤. ان أنظمة التسليح التي نبعت من ثورة المعلومات بالرغم من قدرتها الفائقة وتعقيدها الشديد إلا أنها عرضة سهلة للتداخل عليها بمعلومات مزيفة أو بفيروسات أو شوشرة، الأمر الذي يستلزم تركيز الجهود العلمية لإنشاء شبكات مشفرة بأكثر من شفرة - تتغير في أوقات غير منتظمة - حتى يمكن منع الأطراف الأخرى من تحييد أنظمة التسليح التي تعتمد على الالكترونيات والأجهزة الحاسبة وهي موجودة في كافة أنظمة التسليح التقليدية.

٥. ان من أخطر ما يواجه الأمن القومي هو تماسك أو تفكك أو إنهيار القدرة النفسية للمجتمع ومن ثم يجب تطوير أجهزة الاعلام العربية قومياً ووطنياً بحيث تستطيع مواجهة أي حرب معلوماتية نفسية وأن يكون لديها القدرة على توضيح الحقائق لحظة حدوثها مع القدرة أيضاً على شن حروب معلوماتية نفسية في المجالات المختلفة الاقتصادية والتجارية والعسكرية والاجتماعية كنوع من الردع لمن تسول له نفسه بشن حرب معلومات نفسية على أي طرف عربي. وفي هذا الصدد فإن تكامل الاعلام العربي أساساً رئيسياً لمواجهة هذه الحرب في المجالات السابق الاشارة إليها.

ومن ثم فإننا يمكن أن نحدد الأهداف التي يجب أن تسعى إليها المجموعة العربية في إطار المتغيرات الاقليمية والدولية لمواجهة تأثير ثورة المعلومات على الأمن القومي العربي والقومي الوطني في الآتي:

١. على القوات المسلحة للدول العربية أن تتخذ كافة الخطوات التي توفر لها القدرة على إمتلاك وإنتاج وتطوير قدرات أنظمة التسليح المهيأة لمواجهة انتشار أسلحة الدمار الشامل سواء بتحييدها عن طريق ادارة حرب مراكز القيادة والسيطرة وحرب معلومات المخابرات وحرب تدمير نظم المعلومات وحرب تقييد المعلومات الفعلية للأجهزة الحاسبة لأسلحة الدمار الشامل.

٢. ضرورة تطوير منظومة معاهدة الدفاع العربي المشترك بحيث تتوافر لها وسائل الانذار والاستطلاع المبكر كالأقمار الصناعية أو الطائرات بدون طيار والتي يمكن أن تستخدم في حالة الوصول إلى ترتيبات أمن اقليمية سلمية في التحقق من هذه الترتيبات أو التنبؤ المبكر بأية نوايا أو تهديدات عسكرية اقليمية تواجهها المجموعة العربية.

٣. ان تبدأ المجموعة العربية فوراً في توفير كل ما يلزم لتكون عنصراً فعالاً في حرب المعلومات الاقتصادية خاصة فيما يتعلق بموضوعات التجارة والصادرات والواردات وقدرات الانتاج بغرض منع أي أطراف عالمية أو اقليمية من تصعيد هجومها المعلوماتي الاقتصادي مما قد يؤدي إلى انهيار الأسواق التجارية والمالية للمجموعة العربية وتعطيل إنشاء التكتل الاقتصادي العربي الذي يهدف لانشاء سوق عربية مشتركة.

## خاتمة

لقد جرى العرف على تقييم ادارة الصراع والقتال المسلح بالنجاح أو الفشل في اطار الحفاظ على الأرض أو حمايتها أو الاستيلاء عليها على المستوى الاستراتيجي مع الاستيلاء على / والتحكم في المناطق الطبوغرافية الحاكمة تكتيكياً في مسرح العمليات وذلك في اطار ما أطلق عليه الموجة الأولى.

وفي الموجة الثانية تركز التقييم على القدرة على تدمير قدرات وامكانيات البنية الأساسية ومصادر الانتاج المدني العسكري ولعل أبرز مثال على ذلك هو احتلال ألمانيا لأراضي الاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية مع عدم وصول القوات الألمانية إلى مصادر البترول أو القدرة على تدمير عوامل الانتاج المدني والعسكري السوفييتي مما أعطى السوفييت الفرصة لاعادة ترتيب أوضاعهم وإعادة تحرير أرضهم وطرد القوات الألمانية. وبالمثل يمكن النظر إلى نجاح القوات الألمانية في غزو أوروبا وفشلها في الضربات الجوية الاستراتيجية لتدمير عناصر الانتاج. أي أن الاستيلاء على الأرض لم يحسم الأداء القتالي حيث ظلت القدرات الانتاجية خارج معدلات التقييم.

أما الموجة الثالثة والتي نتعرض إليها الآن فهي ما يطلق عليه موجة حرب المعلومات: الذي سيملك معرفة أكثر عن الطرف الآخر سيمتلك القدرة على تدمير الأهداف في الأرض والبحر والجو والقدرة على تحييد قدرات الطرف الآخر وعلى استخدام المعلومات للوصول إلى الانهيار الاقتصادي والانتاجي والتجاري لطرف الصراع الآخر.

ومن ثم فعلينا أن ندرك أنه أصبح من المحتم تطوير العقلية العربية التي تتعامل مع موضوعات الأمن القومي العربي من فكر الأرض والجغرافيا وفكر التدمير الفعلي لمصادر الانتاج والبنية الأساسية إلى فكر سيادة المعلومات في تأمين الأمن القومي العربي ضد التحديات المستقبلية فيما أصبح ما يطلق عليه «سيادة المعلومات فوق مسارح العمليات في حرب المعلومات»■■

(*) هذه المادة ألقيت في ندوة تحت عنوان «إعداد الوطن العربي للقرن الحادي والعشرين في ظل ثورة المعلومات» التي أقامها المركز العربي للدراسات الاستراتيجية بالتعاون مع الجامعة العربية في القاهرة - شباط ١٩٩٧.

(**) رئيس المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

نعتذر عن ذكر المراجع لضيق المجال.

## استمرار التشابك بين الدوما والكرملين

# غيوم التغيير تتجمع فوق روسيا

خليل جنداوي



بعد يوم واحد فقط من عودته للكرملين، إثر وعكة صحية دامت أسبوعاً قضاها في منتجع قرب موسكو، فاجأ الرئيس الروسي بوريس يلتسن الجميع سواء في روسيا أو خارجها بقرار اقالة حكومة فيكتور تشرنومردين بأكملها، وإلقاء مهمة تكليف الحكومة الجديدة على عاتق سرغي كريينكو البالغ من العمر ٣٥ عاماً ولا تتجاوز خبرته في العمل الحكومي تسعة أشهر فقط، قضى خمسة منها كنائب وزير والأربعة الباقية كان خلالها وزيراً للنفط. وكما كان متوقعاً أثار هذا القرار غضب غالبية الكتل السياسية الروسية فالتقطت قفازات التحدي التي ألقاها الرئيس في وجهها، معلنة أن خطوته الجديدة لن تمر... الأمر الذي أشعل أزمة سياسية حادة مازالت تتفاعل في روسيا، ويبدو انها ستظل كذلك على الأقل حتى أواخر نيسان، هذا إذا لم تتعقد الأمور أكثر ويجد الروس أنفسهم أمام انتخابات تشريعية مبكرة لا يحبذها أحد من الأطراف المتصارعة...

من المؤكد أن الرئيس يلتسن يتمتع بمواهب سياسية متعددة منها الحنكة والدهاء والتقاط اللحظة المناسبة... وهذه الخصال لا ينكرها خصومه، بالمقابل لا يخلو الرجل من صفات سلبية عديدة نذكر منها مزاجيته في العمل والتي نجد تعبيرات عنها خلال السنوات الماضية في الكثير من القرارات والتصرفات الغريبة التي تخرج عن التقاليد المألوفة لدى رؤساء الدول، وكانت بشكل أو بآخر غير مفهومة أو حتى مستهجنة للكثيرين... وبالتالي لم يكن من الممكن تفسيرها إلا بأن الرئيس أراد ذلك... أو أن الرئيس أعجب بهذا الشخص فرقّاه إلى أعلى المستويات، أو نفر من ذاك فأبعده تماماً عن دوائر السلطة... هذه الصفة التي تجعل كل شيء متوقعاً في الكرملين، لم تنجح في التخفيف من مشاعر الحيرة والدهشة التي أصابت الأوساط السياسية الروسية وهي تتلقى النبأ المفاجئ الذي جاء بدون أي مقدمات تمهيدية بإقالة حكومة تشرنومردين، وهو ما اعتبره البعض التغيير السياسي الأكبر الذي تشهده روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، رغم أن الرئيس يلتسن نفسه كان قد صرح قبل حوالي شهرين أن هذه الحكومة باقية حتى العام ٢٠٠٠.

تجدر الاشارة إلى أن الرئيس الروسي كان قد برّز قراره بسببين: الأول يتلخص في ضرورة تسريع الاصلاحات الاقتصادية وتجذيرها، وبالتالي فإن تعيين فريق جديد على رأس السلطة التنفيذية - حسب قوله - «بات أمراً حيوياً لاستمرار هذه الاصلاحات»، أما السبب الثاني فيتمثل في رغبة يلتسن في تفرغ تشرنومردين للتحضير «لضمان فوز الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠». ومع ذلك يبدو واضحاً أن هذه التبريرات الرئاسية تثير أسئلة أكثر بكثير مما تطرح اجابات.

فإذا تعمقنا في السبب الأول سنجد أن رئيس «الفريق الجديد» المكلف بتسريع الاصلاحات وتجذيرها أي سرغي كريينكو نفسه قد فوجئ بتكليفه بالمهمة الجديدة، وإذا ربطنا ذلك مع خبرته كوزير والتي لا تتجاوز أربعة أشهر فقط، سنخلص لنتيجة تؤكد استحالة أن يكون لدى هذا الشخص برنامج اقتصادي متكامل للخروج بروسيا من أزماتها. هذا الأمر يمكن تلمّسه في خطاب كريينكو أمام مجلس الدوما يوم ١٠ نيسان، أي في اليوم الذي رفض فيها البرلمان الروسي في القراءة الأولى المصادقة على تعيينه رئيساً للحكومة. وقتها قال أن روسيا تواجه أزمة معقدة للغاية، وشدد كريينكو على أن حكومة فيكتور تشرنومردين تمكنت من خفض التضخم وتثبيت سعر الروبل، لكنه أضاف «أن هذه المنجزات انهارت في لحظة واحدة» بسبب الأزمة المالية الآسيوية وانخفاض أسعار النفط والخامات والتقصير في جباية الضرائب، ثم رسم كريينكو صورة قاتمة للوضع الاجتماعي للبلاد حين قال إن «المدخول الحقيقي للسكان ينخفض بشكل مضطرد» وإن «مداخيل أكثر من ٣٢ مليون شخص أي حوالي ربع السكان باتت أقل من الحد الأدنى الضروري للحياة». وهاجم مجدداً سياسة سلفه حين لاحظ أن «الحكومة لم تنفك في الأشهر الستة الأخيرة تتحدث عن نمو اقتصادي لكن أياً من المواطنين لم يشعر بانعكاساته». بعدها حاول استرضاء مختلف الكتل البرلمانية فدغدغ عواطف التيار القومي حين طالب بـ«دولة قوية، وسلطة قوية، وحكومة قوية» وقد فسر كريينكو معنى القوة بأنه التشدد في جمع الضرائب من المشاريع الكبرى والصغرى، وتقليص النفقات بشدة، وتنفيذ الميزانية بدقة أي عدم الخضوع للضغوط الاجتماعية التي قد تبرز في هذا القطاع أو ذاك. طبعاً هذه الأفكار التي سيتحمل عبئها المواطن الروسي فقط، تذكّر بدعوات مشابهة طرحها سابقاً النائب الأول لرئيس الوزراء اناتولي تشوبايس الذي يصنف كواحد من أكثر الشخصيات المكروهة في روسيا، كذلك بالبرنامج الاقتصادي الذي طرحه سابقاً يغور غايدار أول رئيس وزراء روسي في عهد يلتسن والمعروف بالعلاج بالصدمة. من جهة أخرى ضمّن كريينكو في برنامجه بضعة مطالب ترضي الشيوعيين مثل «إنهاض الصناعة الوطنية» و«وقف بيع الممتلكات الاستراتيجية» و«تعزيز دور الدولة في إدارة الاقتصاد»، كذلك تقرّب من الحزب الزراعي القريب من الشيوعيين عندما قال إنه سيعمل على خفض استيراد المواد الغذائية الأجنبية التي باتت تشكل ٥٠٪ من الاستهلاك المحلي. وطبعاً كان لهذه التوليفة في البرنامج أثرها،

حيث اعترف غينادي زوغانوف زعيم الحزب الشيوعي الروسي ان خطة كريينكو «تتضمن نقاطاً ايجابية»، كذلك فعل رئيس البرلمان (الدوما) غينادي سيليزينوف عندما قال أن المرشح لرئاسة الحكومة قدم برنامجاً «جيد المضمون»، لكن سيليزنيوف وضع يده على الجرح عندما لاحظ أن كريينكو «لم يعرض حلولاً واضحة للمشاكل» وطلب من يلتسن البحث عن مرشح أقوى.

تجدر الاشارة هنا إلى أن المعارضة الروسية تعاملت بحذر وحساسية شديدين مع موضوع كريينكو، ويبدو انها قدرت وجود هدف غير مباشر ليلتسن في الوضع الحالي، بزجها في صدام مع جمهور الشباب الروسي الذي سيغضب بالتأكيد حين يرى المعارضة التي تطالب بالتغيير، ترفض هذا الأمر لسبب وحيد هو صغر سن الشخص الذي سيأخذ على عاتقه هذه المهمة، رغم تمتعه الأكيد بصفات ايجابية عديدة ليس الذكاء آخرها... لذلك تعاطت المعارضة بشيء من اللباقة مع كريينكو، فالتقى معه أغلب زعماء الكتل السياسية حيث أثنوا على مواهبه، وحاولوا افهامه انهم لا يمانعون أبداً في أن يكون نائباً أول لرئيس وزراء آخر لحين إكتسابه الخبرة، لكنهم حذروه أن دفع يلتسن به إلى هذا المنصب الكبير في هذه الظروف، بالتأكيد ليس في صالح مستقبله السياسي، وخصوصاً أن الشخص الذي يتولى هذا المنصب يحتل الترتيب الثاني في هرم السلطة الروسية، وحسب الدستور فإنه يشغل مكان الرئيس مباشرة في حالة غيابه لأسباب صحية أو وفاته حيث تنتقل مقاليد السلطة لرئيس الوزراء لمدة ثلاثة أشهر يجري خلالها التحضير لانتخابات جديدة... وبالتالي فإن المعارضة السياسية حين ترفض ترشيح كريينكو، لا تفعل ذلك كرفض لشخصه، بل كاعتراض على سياسة الرئيس يلتسن واستهدافاته من هذا الموضوع، إذن إذا جمعنا انعدام البرنامج المتكامل عند كريينكو وافتقاره للخبرة السياسية الكافية، مع الرفض الذي قوبل به ترشيحه من القوى السياسية الروسية، سنصل إلى نتيجة تقول أن السبب الأول الذي طرحه يلتسن لتبرير اقالة تشرنومردين، أي «تسريع الاصلاحات وتجذيرها» غير منطقي، فهذا الهدف يشترط قبل كل شيء حالة من الاستقرار السياسي في البلاد، ومن المؤكد هنا أن وجود سرغي كريينكو في منصب رئيس الوزراء لن يساعد على خلق هذا الوضع، بل ربما أفضى لعكسه تماماً...

هذا الاستخلاص يدفعنا للتدقيق أكثر في السبب الثاني الذي أعلنه الرئيس الروسي لاقالة الحكومة والذي لخصه برغبته في تفرغ تشرنومردين للانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠. وهنا نجد الرئيس الروسي يكشف للمرة الأولى عن شخصية خليفته وهو هنا بدون شك فيكتور تشرنومردين، رغم ان يلتسن مارس لعبة التلميح حول هذا الموضوع، ملهباً خيال الرأي العام الروسي طوال السنوات الماضية بالتصريحات المتكررة القائلة أن خليفته موجود وجاهز، لكن «الرئيس لن يكشف عن اسمه». ومع ذلك ثمة ملاحظتان كبيرتان يمكن تسجيلهما هنا، الأولى نجدها بعد أيام من اقالة تشرنومردين عندما قال انه سيرشح نفسه لانتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٠، متمتعاً كما فهم - على حد قوله - بدعم الرئيس، لكن يلتسن عندما سُئل عن هذا الموضوع، أجاب بصيغة توحي انه نسي تصريحه الذي أبدى فيه رغبته «بتفرغ رئيس الوزراء السابق لضمان فوز الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية القادمة». وامتنع في النهاية عن مباركة ترشيح مساعده الأمين خلال السنوات الخمس الماضية فيكتور تشرنومردين لهذا المنصب. وهذا ما يقودنا للملاحظة الثانية التي تتعلق بترشيح يلتسن نفسه للرئاسة، وكما هو معروف فإن الرئيس قال في أكثر من مناسبة انه لن يخرق الدستور ويرشح نفسه للرئاسة للمرة الثالثة، لكن حاشيته بالمقابل صرحوا بعكس ذلك حين أشاروا إلى ثغرة دستورية تتمثل في أن رئاسة يلتسن الأولى لم تتم بناء على الدستور الحالي، وهذا يعني حسب رأيهم أن الرئيس لم يستنفد بعد فرصه حيال هذا الموضوع، وبالتالي يحق له الترشح لمرة ثالثة هي الثانية فعلياً بحكم أن الدستور الروسي الجديد أقر عام ١٩٩٤. إذن، إن كان الرئيس يريد فعلاً خوض انتخابات عام ٢٠٠٠، فهذا يعني أن تشرنومردين ليس خليفته بالتأكيد، وفي هذه الحالة فإن تنحية تشرنومردين عن رئاسة الحكومة لا تصب في اتجاه ترقيته أو تحضيره لمنصب أعلى كما حاول الرئيس أن يوحي للجمهور الروسي، بل ربما كانت هذه الخطوة تعني أكثر التخلص من حليف ربما ظل وفياً طوال الفترة السابقة، لكن يبدو أن طموحاته السياسية التي عبر عنها أكثر من مرة خلال الأشهر الماضية باتت تزعج الرئيس، فوضعه في خانة الخصوم المحتملين الذين يمثلون خطراً على سلطة الرئيس، وبالتالي قرر تحجيمه وابعاده بأسرع ما يمكن من حلبة المنافسة، كما فعل سابقاً مع شخصيات مماثلة مثل روسلان حزب اللاتوف وألكسندر رتسكوي وألكسندر ليبيد... هذه الحقيقة عبر عنها المحلل السياسي الروسي بافل فلجنجور الذي حلل الوضع بصورة حادة قائلاً: «قد يبدو يلتسن مخادعاً ويصعب التنبؤ بافعاله، ولكن أعماله كلها تأتي متسقة تماماً مع إصراره الأكيد على الاحتفاظ بالسلطة»...

في كل الأحوال وبغض النظر عما إذا كان يلتسن أراد بقراره الأخير الاحتفاظ بالسلطة فعلاً، أو التمهيد لخلق وضع مناسب لخليفته المقبل، من المؤكد أن يلتسن أقدم على لعبة لا تخلو من مخاطر، حيث يدفع بالأزمة إلى التصعيد حين يتشبث برأيه حول تعيين كريينكو في منصب رئيس الوزراء بصورة تصل إلى حد العناد لأن الرئيس ببساطة لا يحب التراجع عن قراراته مهما كانت. وإذا كان ظاهر الأمور يقود إلى هذه الحقيقة، فلاشك أن يلتسن يطمح لتحقيق استهدافات أكبر من اشعاله لمعركة كريينكو مثل كسب جولة حاسمة في صراعه مع الدوما، وتلميع صورته أمام الرأي العام الروسي كقائد شجاع يخوض معاركه حتى النهاية في وجه سياسيين «مترددين ضعفاء، يتكلمون كثيراً لكن سرعان ما تنهار مقاومتهم». وهذا ما نجده في ابتزاز يلتسن للدوما حين يعلن باستعلاء انه لن يقدم أي مرشح آخر لهذا المنصب وبالتالي ما على البرلمان إلا الخضوع لهذه الرغبة، لأن الرفض لثلاث مرات متكررة لمرشح الرئيس تعطيه الحق بحل البرلمان والدعوة لانتخابات تشريعية جديدة. ويبدو ان يلتسن يلعب على هذا الوتر الحساس بالنسبة للكثير من البرلمانيين الذين لا يريدون الآن خوض انتخابات مبكرة لأسباب عديدة منها خوفهم ألا يعاد انتخابهم مرة أخرى، الأمر الذي سيفقدهم امتيازات عديدة، لذلك ترى بعضهم يفضل مهادنة الرئيس الذي من جهته يلعب ببراعة هذه اللعبة، أي «عض الأصابع» أو «حافة الهاوية». ويبدو ان يلتسن يراهن على هذه النقطة بالذات، وما يؤكد على هذه الحقيقة جهود الرئيس الروسي المتواصلة لشق جبهة المعارضة، فمثلاً نجح كريينكو فعلاً في استمالة كتلة جيرنوفسكي (اليمين القومي المتطرف ولها ٥٠ صوتاً برلمانياً) أثناء التصويت الأول للدوما على ترشيحه لرئاسة الوزراء حيث حصل كريينكو على ١٤٣ صوتاً بينما يحتاج إلى ٢٢٦ صوتاً. ويقال أن جيرنوفسكي تلقى وعوداً بأنه سيحصل على ثلاث حقائب وزارية، مقابل تأييد مرشح الرئيس.

وإذا كان من المرجح الآن أن كريينكو لن يجمع الأصوات الكافية لنجاحه خلال التصويت الثاني في الدوما، فلاشك أن يلتسن يراهن على الجولة الثالثة حيث ستصل الأزمة إلى ذروتها وتهبط أعصاب البرلمانيين إلى الحضيض. لكن السؤال هنا ماذا لو خابت توقعات يلتسن وصوتت الدوما للمرة الثالثة ضد كريينكو، هل سيبلع الهزيمة ويرشح شخصاً آخر؟ أم سيواصل المعركة حتى نهايتها أي يدعو لانتخابات تشريعية هو نفسه لا يريدها فعلاً؟ أولاً لأنها مكلفة اقتصادياً في وقت تعيش في الدولة الروسية أزمة سيولة مالية حادة تجعلها لا تستطيع دفع رواتب موظفي القطاع العام الذين خرج مئات الآلاف منهم قبل أيام للشارع احتجاجاً على الأوضاع التي يعيشونها، أما ثانياً وهو الأهم فيتعلق باستطلاعات الرأي التي تقول ان الانتخابات التشريعية المبكرة لن تكون أبداً لمصلحة الرئيس، بل لصالح المعارضة الروسية والشيوعيين تحديداً حيث من المتوقع أن يعززوا مواقعهم ويزيدوا حجم حصتهم في الدوما...

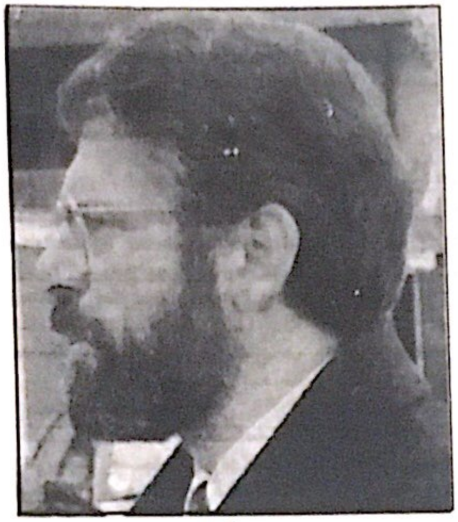
ومع ذلك فالوضع في روسيا هو من التعقيد بحيث يظل مفتوحاً على كل الاحتمالات..■■

## هل تتوقف التفجيرات في لندن!

# من انتصر في اتفاقية ميتشل؟

د.م. أبو ناموس

***لا يوجد حل كامل!! هذا صحيح، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الحل الناقص حلاً سيئاً، هذا هو ربما لسان حال الايرلنديين المتقاتلين طويلاً، على الأرض والسماء، في صراع اختلط فيه الديني بالقومي، هل جاء وسط أمنيات بنهاية سعيدة، وتمنيات للجيران في الشرق الأوسط بتحقيق سلام مماثل: هنا مقاربة.***


جري آدمز


طوني بلير

وسط ترحيب ودعم دوليين، ووساطة أمريكية، وشعور بالمرارة والاحباط عربياً وفلسطينياً من الدور الأمريكي في الشرق الأوسط، يترافق بالمطالبة بوساطة مماثلة، نجح السناتور الديمقراطي الأمريكي السابق، جورج ميتشيل الكاثوليكي المولود لأب أيرلندي، وبتدخل مباشر من الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والذي يقول هو أيضاً بأن له أجداداً ايرلنديين بدفع الأطراف لابرام اتفاق سلام يقع في ستين صفحة، بعد مرور ٢٢ شهراً من المحادثات والتي انتهت بـ٧٦ ساعة متواصلة من المداولات المغلقة، لانهاء نزاع دام ٢٩ سنة وراح ضحيته ما يربو على ٣٥٠٠ قتيل وآلاف الجرحى.

الاتفاق الذي أشادت به الأحزاب الثمانية المشاركة في المفاوضات وصفه كلينتون، بانه أفضل فرصة لتحقيق السلام، معتبراً أن الاتفاق يصلح نموذجاً لمنطقة الشرق الأوسط. قبل مناقشة الاتفاق، وهل يشكل خطوة على طريق حل النزاع في الجزيرة الايرلندية، وهل يصلح بأن يكون نموذجاً لمنطقة الشرق الأوسط، لابد من العودة لجذور الصراع والحرب الأهلية في الجزيرة.

ايرلندا الشمالية كما يسميها الايرلنديون، تعرف عادة باسم «الستر» وتضم ست مقاطعات من أصل تسع، وتبلغ مساحتها ٥٥٠٠ ميل مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي مليون ونصف مليون نسمة، ثلثهم كاثوليك والبقية بروتستانت، أقيمت المقاطعة عام ١٩٢١ عندما منحت الحكومة البريطانية ايرلندا الحكم الذاتي، حيث اتجه الشطر الجنوبي نحو الاستقلال التام، وبقي الجزء الشمالي جزءاً من المملكة المتحدة.

شهدت الستر حركة هجرة نحو الشرق إلى اسكتلندا، وخلال القرنين السادس والسابع عشر بدأت هجرة معاكسة من اسكتلندا وانجلترا في اتجاه الغرب إلى الستر بتشجيع من الملك الانجليزي جيمس الأول الذي كان يطمح إلى التوسع في الجزيرة الايرلندية.

وتفاقم تاثير الهجرات بسبب الفروقات الدينية بين المهاجرين البروتستانت وأهل البلاد الكاثوليك، وتحولت إلى مقاطعة يسيطر عليها البروتستانت الانجليز والاسكتلنديون، وأصبح أهلها الايرلنديون الكاثوليك مواطنين من الدرجة الثانية يمارسون الأعمال الثانوية الوضيعة، مما دفعهم إلى الثورة ضد هذا الوضع. ومن أعنف ردات فعلهم ثورة عام ١٦٤١ عندما شنوا هجوماً مباغتاً ضد المستوطنين الذين فروا من البلاد.

ورغم فشل الثورة بعد أربعة أيام فقط، إلا أن المناطق الجنوبية الست والعشرين ومعظم سكانها من الكاثوليك، تمكنت من الاستقلال في عام ١٩٢٠، أما المنطقة الشمالية والتي يشكل البروتستانت ٦٠٪ من سكانها فقد بقيت تحت السيادة الانجليزية.

### عوامل الأزمة:

عامل يتعلق بالصراع الأيرلندي ـ الانجليزي على السيطرة على ايرلندا، والعامل الآخر يتعلق بالصراع بين الكاثوليك والبروتستانت والذي يتجلى بالعنف في ايرلندا الشمالية.

فالبروتستانت يشكلون الأغلبية وهم أحفاد المستوطنين الانجليز والاسكتلنديين الأوائل وعلاقاتهم مع التاج الانجليزي قوية حيث شغلوا المناصب الهامة.

ففي القرن الثاني عشر أصبحت ايرلندا خاضعة للتاج الانجليزي منذ البداية، وفي ع ١٣٦٦ تم تطبيق قوانين كيلكيني والتي خلقت شرخاً في العلاقات بين الثقافتين حيث حظرت تلك القوانين التزاوج بين سكان ايرلندا الأصليين والمستوطنين الانجليز، وحظرت عليهم دخول المدن المحاطة بالأسوار، التي أقامها المستوطنون اضافة إلى أنه تم حظر استعمال الأسماء الايرلندية وارتداء الزي الايرلندي وتداول اللغة.

### جذور الطائفية:

عندما نصب هنري الثامن نفسه ملكاً على ايرلندا، وقام بحملته لاستعمار الجزيرة، صادر أراضي الفلاحين وأعطاها للمستوطنين، حيث شهدت الستر هجرات مكثفة من اسكتلندا مما أدى إلى تجاوز عدد المستوطنين البروتستانت السكان الأصليين. وبعد أن قطع هنري الثامن علاقاته مع

الكنيسة الكاثوليكية، وأقام كنيسة انجلترا، تم اضفاء البعد الطائفي على الصراع. ولقد تم رفض قبول المذهب البروتستانتي وسلطة الكنيسة الانجليزية من قبل السكان الأصليين، لهذا فقد قلت حالات الزواج بين الطائفتين.

اضافة لهذا كله فلقد سكن المستوطنون المدن والقرى المحصنة في حين بقي السكان الأصليون خارجها، فالنمط الاستيطاني مازال قائماً على حاله في مدن مثل لندن ديري البروتستانتية أم «ديري» الكاثوليكية وبلفاست حيث يعيش البروتستانت داخل أسوار المدينة القديمة في حين يعيش الكاثوليك خارجها. فلقد تم ابادة ما يقارب ربع كاثوليك المقاطعة وجرد كثيرون من ممتلكاتهم في حين هاجر آخرون إلى جزر الهند الغربية وتم بيعهم في أسواق الرقيق اثر الانتفاضة التي قام بها الكاثوليك وتم اجهاضها بعد عشر سنوات على يد الجيش الانجليزي.

### الموقف الأمريكي:

في الانتخابات الأمريكية شملت قائمة وعود كلينتون ارسال مبعوث سلام إلى أيرلندا الشمالية لكسب تأييد ما يزيد على ٤٠ مليون أمريكي من أصل ايرلندي، آخذاً بعين الاعتبار وجود تكتل ايرلندي قوي في الكونغرس الأمريكي وفي مدن كبرى مثل بوسطن ونيويورك حيث كان ينظر للموقف الأمريكي باعتباره متحيزاً للجمهوريين الكاثوليك. اضافة الى أن الأمريكيين المنحدرين من أصل ايرلندي، كانوا يقومون بتقديم دعم مالي ومعنوي للجمهوريين، وتقديم بعضهم شحنات من السلاح.

قرار الرئيس كلينتون منح تأشيرة دخول للولايات المتحدة للزعيم الجمهوري جيرى ادامز في كانون الثاني ١٩٩٤ لعبت دوراً في احياء عملية السلام. وزيارة كلينتون لبلفاست ولندن ديري في تشرين الثاني عام ١٩٩٥، ساعدت جميع الأطراف المعنية بالنزاع بالاقتناع بأن الولايات المتحدة لن تتحيز لأي من الطرفين.

### الموقف البريطاني:

منذ عودة حزب العمال إلى الحكم في لندن وسياسته المعروفة بحيادها النسبي إزاء الطائفتين البروتستانتية والكاثوليكية في الاقليم، بعكس حزب المحافظين الذي يتخذ موقفاً مؤيداً بشكل عام لمواقف البروتستانت.

### الأحزاب في جزيرة ايرلندا:

اقليم ايرلندا الشمالية يتألف من ٦ محافظات سلخت في العشرينات عن بقية محافظات الجزيرة الايرلندية، يعيش فيها أغلبية بروتستانتية كانوا يشكلون أقلية إزاء الكاثوليك في عموم الجزيرة الايرلندية.

حزب الشين فين الايرلندي الجمهوري الكاثوليكي الذي يعتبر الجناح السياسي لتنظيم الجيش الجمهوري الايرلندي، قال زعيم الحزب جيرى ادامز «ليس هناك سلام بعد، فالاتفاق ليس تسوية...» وأعلن ان الاتفاق لن ينهي كفاحه الطويل من أجل وحدة الجزيرة وهو الهدف الذي يرفضه بشدة البروتستانت.

وفي مقدمة الرافضين القس بيزلي زعيم الحزب الديمقراطي الاتحادي المتطرف الذي رفض المشاركة في المفاوضات.

أما زعيما حزبي الستر الاتحادي أكبر حزب بروتستانتي في ايرلندا الشمالية وجون هيوم زعيم حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي أكبر الأحزاب الكاثوليكية قد تفاهما على فتح صفحة جديدة من التعاون قبل اعلان الاتفاق النهائي.

### أهم النقاط الأساسية في الإتفاق:

يتحدد مصير ايرلندا الشمالية حسب رغبة أكثرية السكان وهو ما سيكشف عنه عبر الإقتراع، ويأخذ الإتفاق علماً، كما يرغب في ذلك البروتستانت بأن الإختيار الراهن لأكثرية من الشعب هو استمرار الإتحاد مع لندن ولكنه لايتنكر ايضاً لإمكانية «توحيد ايرلندا» وهو الهدف الأسمى للكاثوليك، إذا ما أعربت أكثرية الشعب عن رغبتها في ذلك، وحتى يتحقق خيار شعب ايرلندا الشمالية تتعهد الحكومتان البريطانية والأيرلندية بتعديل دستوريهما، فتتخلى لندن عن القانون الصادر عام ١٩٢٠ الذي يخلد سيادتها على ايرلندا الشمالية، بينما تتخلى دبلن عن مطالبتها بأراضي الشمال.

وسيتم انتخاب مجلس يضم ١٠٨ مقاعد، ومجلس وزراء من ١٢ وزيراً بالإضافة لتشكيل هيئات جديدة لتجسير الهوة بين الشمال والجنوب وبريطانيا وايرلندا: كإنشاء مجلس عبر الحدود الأيرلندية من الشمال والجنوب، يتالف من مندوبين عن ايرلندا والجمهورية الأيرلندية، إضافة إلى رئيسي وزراء الجمهورية والإقليم، وستكون مهمته تطوير التعاون في ميادين السياحة والبيئة والنقل والزراعة والصيد والبحث في مصير السجناء، وسيقدم مقترحاته إلى برلماني ايرلندا الشمالية في بلفاست والجمهورية الأيرلندية في دبلن.

انشاء مجلس الجزيرتين الأيرلندي - والبريطاني وسيضم جميع مناطق الحكم الذاتي للمملكة المتحدة ايرلندا الشمالية واسكوتلندا وويلز بجانب انجلترا وجمهورية ايرلندا ويعقد اجتماع قمة مرتين في السنة لتطوير التعاون وتحسينه.

تعهد الموقعون بالإحترام المتبادل للحقوق المدنية وحرية الشعائر الدينية لكل من الطائفتين وحرية حق كل فرد في أن يختار بحرية مقر إقامته.

كما أكد المشاركون مجدداً التزامهم بنزع تام للاسلحة من جميع المنظمات شبه العسكرية في مهلة لاتتعدى السنتين وذلك بعد نتائج الإستفتاء الذي سينظم في ايرلندا الشمالية وفي الجمهورية.

اصلاح الشرطة العسكرية في ايرلندا الشمالية المتهمة بالتحيز للبروتستانت من قبل الكاثوليك فالإتفاق يعتبر خطوة هامة ومتقدمة تعالج كل الخلافات وتضع حداً لحرب أهلية دامية ولكنه بحاجة من أجل تحقيق ذلك لإزالة كل الحدود التي تفصل بين الطائفتين، والشروع في تهيئة الرأي العام الايرلندي لقبول هذا الإتفاق وهذا يتطلب استمرار الحوار مع الأطراف الرافضة للإتفاق والشروع في إزالة كل العوامل التي تبقي جذوة الحقد والكراهية بين الطائفتين من محو الكتابات المحرضة على القتل والرسوم الحربية على جدران الأحياء. كما ويتطلب ذلك جهوداً ومساعي حثيثة وكبيرة من بريطانيا وايرلندا في هذا المجال، والشهور بل السنوات القادمة لها القول الفصل في هذا الإتفاق وتطبيقاته وتعاطي الأطراف المعنية ببنوده واحترامها.

### هل يصلح هذا النموذج للشرق الأوسط؟؟!!

لا أعتقد بأن هذا النموذج يصلح لمنطقة الشرق الأوسط إضافة أن الجهود التي بذلت في ايرلندا لم تبذل في منطقة الشرق الأوسط.

باختصار شديد لربما يصح القول بعض الشي بما قامت به بريطانيا من مساعدة المهاجرين اليهود في الإستيطان بفلسطين ومن ثم اقتلاع أهلها من اراضي الأباء والأجداد، وقيام دولة اسرائيل وحرمان الشعب الفلسطيني من أبسط حقوقه، ولكن الأهم من ذلك إسرائيل وما تشكله من قاعدة متقدمة للإمبريالية في المنطقة، تهدف لبسط نفوذها وتمزيق المنطقة العربية ونهب ثرواتها والسيطرة على مقدراتها.

كما وأن ما يتم في منطقة الشرق الأوسط بأن الإدارة الأميركية تمارس سياسة المعايير المزدوجة حيث تدعم اسرائيل وتمارس ضغوطها على الأطراف العربية وخاصة الفلسطيني للقبول بالإشتراطات الإسرائيلية وكونجرس أمريكي يقف قلباً وقالباً إلى جانب إسرائيل، وموقف أوروبي تعمل الإدارة الأميركية على استبعاده فالإتفاق الذي وقع في أوسلو بين اسرائيل وطرف في م.ت.ف لم يلبّ الحد الأدنى من الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، إضافة إلى أن التسوية السياسية في المنطقة قد انتهت، ومازالت الإدارة الأمريكية تمتنع حتى عن إعلان مبادرتها بشكل علني نزولاً عند الرغبة الإسرائيلية.

فاي نموذج هذا الذي ينادي ويطالب به الرئيس كلنتون في ظل ما وصلت له الأوضاع في الشرق الأوسط من سياسه الإحتواء المزدوج للعراق وإيران وسياسة الحصار والتجويع التي تمارس ضد الشعب العراقي، والتنكر لكل الأعراف والمواثيق الدولية - أخيراً قرار محكمة العدل الدولية حول قضية لوكربي والحصار المفروض على ليبيا والسودان، والتفسيرات الإسرائيلية للقرار ٤٢٥، والجولان وإصرار اسرائيل على عدم الإنسحاب منها فلا أمل ولا جدوى من المطالبة والمناشدة للادارة الأمريكية فهي منحازة بلا حدود لاسرائيل ■■

# جولة كلينتون الأفريقية: هل تترجم الوعود؟

أيمن عوض

قام الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بالزيارة الأمريكية الرابعة، وبفارق ست سنوات فقط على زيارة سلفه، بعد أن تعودت القارة السوداء على التقليد الأمريكي في المحافظة على عقدين من الزمن بين الزيارة والأخرى. وبذلك يكون كلينتون قد كسر هذا العرف الأمريكي التقليدي إن لناحية الفترة الزمنية الفاصلة عن الزيارة السابقة أو لناحية المدة الزمنية للزيارة بذاتها. وإن كان لطول الزيارة اعتبارات انتخابية ضيقة يغمز فيها من قناة السود.

ففي العام ١٩٤٣ وإبان الحرب العالمية الثانية، قام الرئيس «فرنكلين روزفلت» بالزيارة الأمريكية الأولى للقارة السوداء، وكانت طبيعة الزيارة تحمل في طياتها العداء لأفريقيا السوداء على دور القارة في تلك الفترة الداعم لدول المحور وذلك للعداء الأمريكي لباريس ولندن اللتين اقتسمتا افريقيا بينهما عام ١٩٠٤ وفرضتا عليها استعماراً عسكرياً مباشراً.

أما الثانية فكانت في عهد «جيمي كارتر» سنة ١٩٧٨، وكان الهدف من الزيارة فتح آفاق التعاون الإقتصادي مع أفريقيا وذلك لتقويض النفوذ المباشر للكومنولث البريطاني والجماعة الفرنسية في أفريقيا. والتعاون هذا كان يهدف بحد ذاته إلى كسر الإحتكار المفروض بريطانياً وفرنسياً على مواد افريقيا الأولية والتي يعاد بيعها بعد تصنيعها بأسعار باهظة ومكلفة للولايات المتحدة تحديداً التي تقوم عليها الكثير من الصناعات الأمريكية.

والرحلة الثالثة كانت في عهد الرئيس «جورج بوش» في العام ١٩٩٢، وهدفت هذه الزيارة لإخضاع أفريقيا للنفوذ الإقتصادي الأمريكي، وهي التي كانت على النقيض من زيارة سلفه، حيث الأول حاول فتح آفاق التعاون أما الثاني فجاء وبذهنه السيطرة. ولتحقيق ذلك قامت الولايات المتحدة بتقديم المساعدة لافريقيا بالمال والمواد الغذائية والطبية. وخلفية ذلك التوجه الأمريكي بأن تصبح القارة السوداء في الفلك الأمريكي وتنفك عن الفلك الأوروبي. فالإتحاد الأوروبي بدأ بالظهور وبدأت تتعزز مكانته الإقتصادية وهذا ما سينعكس إيجابياً على دور الإتحاد السياسي في العالم.

ومعروف للجميع حجم الأزمة التي عانى منها الإقتصاد الأمريكي في فترة جورج بوش فدار البلاد الكونية مستجدياً مرة كما حصل في اليابان لفتح أسواقها أمام البضائع الأمريكية وتقليص حجم الفائض في الميزان التجاري الياباني مع الولايات المتحدة، وآمراً مرة أخرى كما حصل في دول الخليج والشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية وخروجه منتصراً. ومراهناً أخيراً كما حصل في افريقيا.

فالنصر الأمريكي والتفرد بعد حرب الخليج الثانية كان عليه أن يبعد أي دور لأي قوى أخرى بغض النظر عن تلك القوى، وكانت أفريقيا ركيزة أساسية تزوّد أوروبا بالمواد الأولية وتغذي الصناعة الأوروبية، وبالتالي تعزز الدور الإقتصادي لتلك المجموعة التي ستعزز دورها العالمي بالتأكيد.

والزيارة الأخيرة والتي لم يمض على سابقتها سوى ست سنوات فقط قام بها الرئيس الأمريكي الحالي، حيث جمعت هذه الزيارة بين سابقاتها من حيث الأهداف وزادت عليها أموراً وابعاداً أخرى.

فالزيارة كانت لإحلال التجارة محل المساعدات بعد أن أرهقت أمريكا خزينتها بالمساعدات للقارة السوداء الأمر الذي أدى إلى صراع داخلي في واشنطن بين الكونغرس الأمريكي والبيت الأبيض على جدوى المساعدة التي عجز البيت الأبيض عن تبريرها بعد أن انتهت الحرب الباردة، فما كان من واشنطن سوى تقديم العطايا في الوقت الذي تزايد فيه النفوذ الأوروبي في أفريقيا وإن كانت أمريكا قد نجحت إلى حد ما في تحجيم دور فرنسا في زائير وإزاحة الديكتاتور المدعوم فرنسياً هناك.

وتهدف الزيارة فيما تهدف إلى الإسراع بدمج القارة السوداء في عجلة الإقتصاد العالمي بصورة مباشرة وبعيداً عن تأثير ونفوذ الدول الأخرى، حيث أكدت «سوزان رايس» مساعدة وزيرة الخارجية للشؤون الافريقية الخوف الأمريكي من النفوذ الأوروبي، وذلك يعود إلى طبيعة التركيبة القبلية القائمة في افريقيا والتي تضع شيخ القبيلة فوق الرئيس والوطن من حيث الولاء له. وكان لهذه الدلالة بعض الإستنتاجات التي خلصت وكأن الرئيس الأمريكي في جولته الافريقية لم يقم إلا بزيارة واحدة ووحيدة وهي زيارته لجنوب افريقيا حيث تحتفظ الأخيرة بسمات الدولة المتكاملة أما باقي الزيارات فكانت لأقاليم تابعة بالفطرة لفرنسا وبريطانيا وبالتالي للإتحاد الأوروبي.

وبكل تأكيد فإن كلينتون وقبل قيامه بزيارته إلى افريقيا كان قد أعد لها جيداً وكان أن تجاوزت الزيارة الجانب الإقتصادي ولامست جوانب هامة أخرى وعديدة على رأسها الدعوة لتعزيز الديمقراطية والتلميحات للمجازر وبشاعتها التي تشهدها افريقيا.

وهذه القضية بحد ذاتها تغمز في قناة الأمريكيين السود، أصحاب الفضل في وصول كلينتون إلى سدة الحكم عام ١٩٩٢ و ١٩٩٦، وهو الأمر الذي يعول عليه كلينتون لإيصال خلفه «آل غور» إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠.

وحاولت الزيارة الإيحاء بأن كلينتون زار افريقيا بأكملها وذلك من خلال قمة عنتيبي التي جمعت رؤساء كينيا وتانزانيا ورواندا والكونغو الديمقراطية بالإضافة إلى أرتيريا وزمبابوي ورئيس وزراء اثيوبيا مع الرئيس الأمريكي والرئيس الأوغندي الذي تعمد وبدعم من واشنطن دعوة أمين عام منظمة الوحدة الافريقية، وذلك للإيحاء بأن القمة جمعت كل افريقيا بعد أن كانت الزيارة مقتصرة على ست دول فقط. وهذه القمة قد شكلت «مخرجاً» لأمريكا من مأزق الحلفاء غير الديمقراطيين على اعتبار أن لانموذج فريداً للديمقراطية.

وطالت الزيارة جوانب أخرى حيث تم التوقيع خلالها على اتفاقات أمنية مع السنغال تتناول في الأساس أمن المطارات الأمر الذي سيساعد على تطوير الإستثمار والمحافظة على أمن التجارة.

ومن الأمور التي طالتها الزيارة محاولة البحث في المشروع الأمريكي لإنشاء قوة افريقية لحفظ السلام الأمر الذي يشكل عنصراً أساسياً في سياسة واشنطن الافريقية وهذا الموضوع «المشروع» الأمريكي يرمي فيما يرمي إلى محاولة عدم إقحام واشنطن في المجازر الأفريقية. وهو المشروع الذي لم يحظ بالإجماع في داخل افريقيا.

ويعود التحفظ الأفريقي على المشروع إلى اسباب وجيهة اهمها قلق المجموعة الأفريقية من الأفكار المبطنة التي جاءت في المشروع الأمريكي، حيث أن تشكيل هذه المجموعة سيعمل على أن تحل أفريقيا مشاكلها لوحدها لتفادي تكرار التدخل الأمريكي هناك على غرار ما حدث في الصومال. كما أن الدول الافريقية تخشى من أن الولايات المتحدة سيكون لها السيطرة الكاملة على هذه القوة وبالتالي ستحركها واشنطن في

أي اتجاه تريد وفي أي مكان يمكن نشرها.

وعرجت الزيارة على الموضوع البيئي في افريقيا، حيث وصل التصحر إلى ما يعادل ٢٧٪ من مساحة القارة السوداء، حيث حاول كلينتون تحديد الخطوط العامة لمساعدة أفريقيا في الحفاظ على البيئة بالسيطرة على التصحر والبدء بإجراء مسح لأفريقيا لتحديد أثر التغيير في المناخ حيث ستقوم بذلك إدارة «ناسا» للفضاء والطيران.

وإذا كان من شيء بارز في زيارة كلينتون الأفريقية. فهي تلك الزيارة التي قام بها لجنوب أفريقيا، حيث تعتبر الإدارة الأمريكية أن الأخيرة تتمتع بمقومات الدولة فيما الأخريات أقاليم تابعة.

وكانت الزيارة قد استهلت من المضيف بالهجوم على الضيف، أن للهدف المعلن للزيارة والمتمثل في اعلان كلينتون بأن الزيارة تهدف للمشاركة التجارية، أو في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه أفريقيا والعالم بشكل عام.

ففي جانب الأهداف من الجولة الأمريكية، كان «مبيكي» خليفة «مانديلا» واضحاً جداً حين أعلن بأن «التجارة لا المساعدة» تفيد الأمريكي لا الأفارقة وأكد أن هذه النظرة خاطئة، معتبراً أن افريقيا بما فيها جنوب افريقيا تحتاج إلى المساعدات والتجارة في آن معاً. حيث قال «أن الإقتصاد الأفريقي الآن لا يستطيع أن يؤمن الموارد الضرورية للإستجابة لمشكلات الفقر الملحة التي نواجهها» وهو الأمر الذي دعا كلينتون إلى تهدئة المخاوف من أن الصيغة الأمريكية للشراكة تفيد فقط الأمريكيين، وقال «إذا كان صحيحاً أننا وضعنا الكثير من التركيز على التجارة والإستثمار في السنوات الخمس الماضية، فإنني لا أعتقد أن علينا التخلي عن سياسة المساعدة».

وكان كلينتون جاهداً وحريصاً على استخدام التعابير التي استعملها «ثابو مبيكي» عن «النهضة الأفريقية» وإذا لم يكن أحد في أفريقيا قد ناقشه في مضمون وعنوان الجولة فإن ذلك لم يحصل في جنوب افريقيا، وبالتالي فإن كلينتون حريص جداً على أن تبقى الصورة التي دخل فيها افريقيا نفسها التي يغادر فيها.

وطالت زيارته لجنوب افريقيا أموراً أخرى حددها الرئيس مانديلا في كلامه حول السياسة الأمريكية الخارجية، حيث أبرز مانديلا أماكن الخلل في هذه السياسة تجاه ليبيا والعراق وإيران وكوريا، وأعلن بصراحة وأمام ضيفه أن لأمريكا سياستها الخاطئة في التعاطي مع هذه الدول وأن جنوب افريقيا لن تتخلى عن صداقتها مع هذه الدول كون أمريكا غير راضية عنها.

وكان واضحاً جداً الجراة التي قابل بها الجنوب افريقيين ضيفهم من خلال جلسات الحوار معه أو من خلال تصريحات الرئيس ونائب الرئيس الجنوب افريقي في معارضتهم لسياسة الولايات المتحدة الخاصة بأفريقيا الأمر الذي يفتقده غالب رؤساء وزعماء العالم في التعاطي مع الولايات المتحدة.

فلم تأبه جنوب افريقيا بأن الزائر هو رئيس أقوى دولة في العالم، وبالتأكيد لو كان الزائر غير الرئيس الأمريكي لكان الإستقبال افضل من ذلك ولكانت هناك صياغات دبلوماسية في التعاطي معه. هذا الموضوع يؤكد على أن جنوب أفريقيا ملتزمة أمام الجميع بمواقفها واستقلالية قرارها.

وهذه المقالة لن تدخل في تعداد مزايا وصفات مانديلا بقدر ما تحاول أن تظهر الجراة الغير معتادة والصلابة في مواقف هذا الرجل وأتباعه. الأمر الذي يفتقده العديد من العرب في مواجهة المخططات الأمريكية التي رسمت خريطة الكيان العربي.

كان للجراة الجنوب افريقية في التعامل مع الزيارة التي قام بها الرئيس الأمريكي أن فرضت على كلينتون أموراً كبيرة لجهة الإعتراف بفشل واشنطن وتأخرها عن أداء دور إنساني في أفريقيا ينقذها من المجازر البشعة التي اجتاحت ومازالت القارة السوداء.

وكان عليه أن يزور الزنزانة المقيتة والمظلمة التي قضى فيها مانديلا ما يزيد على العشرين عاماً من عمره وهو يناضل ضد نظام الفصل العنصري المقيت في بلاده، وكان على كلينتون أن يزور «بوابة اللاعودة» التي دخلها بالإكراه قبله مايزيد على الـ ١٠٠ مليون أفريقي محملين في سفن الشحن التي اقلتهم إلى «العالم الجديد» بعد أن ألقي بالمتمرد منهم في مياه المحيط طعاماً للسمك. وهو الأمر الذي جعل كلينتون مكرها على قول «أن العبودية كانت خطأ» وأن «الرحلة الطويلة للأمريكيين السود تبرهن على أن الروح لايمكن أن تستعبد» وإن لم يكن قد اعتذر للأفارقة عن أعمال أجداده وجرائمهم تجاه عبيد افريقيا.

إذاً استقبال كلينتون في جنوب افريقيا، اختلف عن استقباله في باقي البلدان الأفريقية التي قام بزيارتها إن لجهة تهافت الشارع عليه في العديد من تلك البلدان على أساس أنه الأبيض المنقذ وتهافتهم لمصافحته والرقص أمامه لدرجة أنه ضاع من بهجة وهول الإستقبال وصرخ بالحشود للإنصراف من حوله فيما في جنوب افريقيا قوبل بمظاهرات من قبل الجماهير هناك تحذر العالم من الإنتباه لتصرفات هذا الرجل «إنتبهوا إلى أبنائكم... جاء المهووس» أو لجهة الإستقبال الرسمي ما بين الضيف والمضيف، فالوحيدون الذين ناقشوه في الزيارة وأهدافها هم الجنوب أفريقيين، والوحيدون الذين هاجموه هم الجنوب افريقيين، وفي الوقت نفسه أسمعوه ما لايطيب له سماعه وأهدوه وساماً.

كما تمت الإشارة سالفاً، فإن الزيارة حاولت الجمع ما بين الزيارات السالفة لها على امتداد ما يزيد عن الخمسين عاماً، حيث مازال العداء يناصبه الأمريكان لبعض الدول الأفريقية وكان اختيار أماكن الزيارة محسوباً بشدة، فهو لم يتوجه إلى ليبيريا، وهو ذلك البلد الذي أقامه العبيد المحررون من الولايات المتحدة عند عودتهم في القرن التاسع عشر وبرر ذلك بأن ليبيريا مازالت دولة هشة تسعى للملمة الجراح بعد الحرب الأهلية وتحاشى كلينتون زيارة الكونغو الديمقراطية، حيث مازال كابيلا المدعوم من الأوساط الأمريكية ممسكاً بزمام الأمور هناك ولايعير الجانب الديمقراطي الذي وعد فيه أية أهمية، وإن كان قد التقى كلينتون في قمة عينتيبي ووعد بتنفيذ انتخابات حرة في البلاد، وكذلك الأمر بالنسبة لنيجيريا، والتي لم يزرها الرئيس الأمريكي بل طالب رئيسها العسكري بالعمل على إجراء انتخابات حرة على الرغم من أن البلد المعني هو الأكثر كثافة سكانية وثروات نفطية في القارة.

واساس الزيارات له اسبابه وموجباته، فالبلدان التي زارها الرئيس الأمريكي تتميز عن غيرها من البلدان بالعديد من النواحي. فهي ملتزمة نظام التعددية ويقوم فيها نظام اقتصادي رأسمالي وافاق التنمية فيها واعدة نسبياً.

إضافة إلى ما كان يرمز له كلينتون من غمز في قناة الأمريكيين السود، بأنه لم يقم بزيارة تلك البلدان التي يسيطر عليها أنظمة ديكتاتورية، وهو ما يعطي زيارته بعداً آخر في تعزيز شعبيته المهتزة داخل الولايات المتحدة في صفوف السود.

وحاول كلينتون أن يتوج زيارته لأفريقيا ببادرة تجاه فرنسا، والأكثر حضوراً في افريقيا وذلك من خلال المكالمة الهاتفية التي أجراها مع شيراك، حيث ركزت المكالمة على ضرورة المشاركة في توزيع وتقاسم افريقيا، وهو ما اراد منه كلينتون الإعلان عن نهاية للصراع والتنافس الفرنسي - الأمريكي على النفوذ والسلطة في افريقيا، هذا التنافس كان قد أذكى جحيم الإبادة الجماعية في رواندا وإطالة الصراع على السلطة في زائير.

ولكن في الأساس هناك اتفاق ضمني عام على أن أفريقيا كبيرة بحيث تتسع للجميع ويمكن من خلال إنهاء الصراع الخفي على النفوذ في أفريقيا أن يعزز ذلك من فرص الإستفادة للجميع. هذه القضية بالتحديد يريدها كلينتون الذي يواجه أزمات كبيرة في الشعبية داخل مجتمعه، فزيارته كانت ناجحة ويهمه كثيراً أن يرى هذا النجاح يتحقق وأن لاتضيع هذه الفرصة من يد أمريكا.

كلينتون كان قد غادر أفريقيا بعدما مر في «بوابة اللاعودة» التي ذهب فيها الأفارقة مجبرين ولم يعودوا لأوطانهم. غادر بعد أن قدم وعوداً كثيرة لأفريقيا، وغادر والإنطباع الذي تركه لدى الأفارقة ليس نفس الإنطباع الذي تركه أجداده في القرن التاسع عشر وقبله السادس عشر، فهل يذهب هو ووعوده من القارة المنسية كما ذهب الأفارقة؟! إن المحك الرئيس لإلتزام كلينتون بوعوده هو أن تترجم هذه الوعود إلى أفعال بعدما غادر أفريقيا ■■

## المؤتمر البرلماني العربي ـ الأفريقي الثامن

# تأكيد على ضرورة التضامن والتعاون بين الشعوب العربية والأفريقية

بدعوة من الجمعية الوطنية في جمهورية بنين، انعقد المؤتمر الأفريقي ـ العربي الثامن في المركز الدولي للمؤتمرات بكوتونو خلال المدة من ٧-٤ آذار١٩٩٨ وقد شارك في أعمال هذا المؤتمر ممثلون عن البرلمانات الأفريقية والعربية. كما شارك في المؤتمر بصفتهم من المراقبين ممثلو المنظمات الدولية، والبرلمانية، منظمة الوحدة الأفريقية الإتحاد البرلماني الدولي، الجمعية الدولية للبرلمانيين الناطقين بالفرنسية، منظمة البرلمانيين العرب والأمريكيين من أصل عربي، والمصرف العربي للتنمية الإقتصادية في أفريقيا.

كما وشارك في مراسم الأفتتاح أضافة للوفود البرلمانية الأفريقية والعربية، وأعضاء الحكومة ومؤسسات الدولة، وأعضاءالبعثات الدبلوماسية المعتمدون في بنين ولفيف من الضيوف والمدعوين.

السيد جوزيف مارسيلان دجبي، رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر، ذكر بأن الأتصالات واللقاءات بين الشعوب العربية و الأفريقية لم تخل دوماً من الصعاب، طلب نسيان هذه الذكريات القائمة، مؤكداًأن الإتحاد والوحدة هما السبيلان الوحيدان للتصدي لعمالقة هذا الكوكب. كما أعرب عن الأمل في أن تسهم المبادرات السياسية والإقتصادية والثقافية بين الشعوب الأفريقية والعربية في إزالة حواجز الريبة والتوعية بضرورة التكامل بين المصالح الأفريقية والمصالح العربية.

رئيس الجمعية الوطنية لبنين ورئيس أتحاد البرلمانات الأفريقية، ألقى خطاباًأستهله بإيضاح نقاط قد تلتبس على البعض، من قبيل أن الحيز العربي الأفريقي ليس هو الحيز التضامني الوحيد الذي يمكن لكل برلمان من البرلمانات العربية والأفريقية استثماره، فثمةعرى أخرى للتضامن كانت وراءها عوامل جمعت بين برلمانات البلدان الناطقة بالفرنسية، والأخرى التي ضمت بلدان الكومنولث وغيرها. وأضاف على الرغم مما تزخر به البلدان الأفريقية والعربية من موارد مالية وطبيعية، فإن تضافر جهودها وتضامن شعوبها هما الكفيلان وحدهما بفرضها كشريك حقيقي يعترف به سائر عناصر المجتمع الدولي.

الجنرال ماثيوكيريكو، رئيس الجمهورية، قال إن المؤتمر البرلماني العربي الأفريقي الثامن يعقد في ظل ظروف تملي ضرورة التضامن والتعاون بين الشعوب والبلدان الأفريقية والعربية مدللاً على ذلك بالتوترات الأخيرة التي ترتبت على الخلاف بين المجتمع الدولي والعراق، ومغتنماً هذه المناسبة للإشادة بالأمين العام للامم المتحدة السيد كوفي أنان، كما وأعرب رئيس الجمهورية من جانب آخر عن أسفه إزاء الصعاب التي تكتنف محاولات تسوية النزاع العربي الإسرائيلي، وقضية فلسطين على وجه الخصوص، وذلك من جراء تعمد الحكومة الإسرائيلية تجاهل الأحكام ذات الصلة باتفاقات مدريد وواشنطن وأسلو.

وأخيراً دعا نواب الشعب إلى ممارسة الدبلوماسية البرلمانية جنباً إلى جنب مع تحرك الحكومات، طلباً لتجنب إتخاذ قرارات غير قابلة للتنفيذ والأهتمام بالسلبيات الحقيقية التي تقوض جهود التنمية في البلدان الأفريقية والعربية وذلك من خلال النهوض بأنشطة تستند إلى الشركة والتضامن الفعلي.

وقد وافق المؤتمر بالإجماع على أنتخاب مكتب المؤتمر الثامن وجدول الأعمال. وقد تشكل المكتب من بنين رئيساً للمؤتمر، مصر نائباً للرئيس والنيجر مقرراًعاماً. وبعد المناقشة المستفيضة على مدار يومين أتخذت قرارات هامة حول أهمية الحوار البرلماني الأفريقي العربي وحول عملية السلام في الشرق الأوسط والقدس، والعراق والكويت، والحصار المفروض على الجماهيرية الليبية والسودان والأرهاب وفي المجالات المتعددة الثقافية والعلمية، والتراث، ومساندة طلب المجلس الوطني الفلسطيني على العضوية الكاملة في الإتحاد البرلماني الدولي، وأخيراًتشكيل لجنة المتابعة من الجانب الأفريقي، بوركينا فاسو، الجابون، غانا، مالي، النيجر، السنغال. ومن الجانب العربي: الجزائر، الأردن، المغرب، فلسطين، سورية، تونس. وتشارك في هذا التشكيل الدولتان اللتان تتوليان رئاسة كل من الإتحاد البرلماني العربي واتحاد البرلمانات الأفريقية.

### أهم ما جاء في القرارات:

حول القدس: يؤكد المؤتمر على أن القدس الشرقية أرض عربية محتلة ينطبق عليها ما ينطبق على بقية الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ويتوجب انسحاب إسرائيل منها وفق قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ والذي يرفض احتلال أراضي الغير بالقوة.

يتمسك المؤتمر بعروبة القدس ومكانتها الدينية، ويدين كل المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى تغيير الوضع الجغرافي أو الديمغرافي أو السياسي أو الحضاري لهذه المدينة المقدسة مما يؤثر على وضعها النهائي ويعتبر كل إجراء إسرائيلي في هذا الصدد لاغياً وغير شرعي ومخالفاً للقانون الدولي وانتهاكاً لإتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ وعقبة في طريق السلام.

كما يدين المؤتمر سياسات الحكومة الإسرائيلية وممارستها الرامية إلى تكريس إحتلالها للاراضي العربية في فلسطين وسورية ولبنان والتهرب من استحقاقات عملية السلام ويحملها مسؤولية تجميد تلك العملية.

يؤكد المؤتمر أن تحقيق السلام الشامل والدائم في الشرق الأوسط يستوجب احترام اسرائيل لقرارات الشرعية الدولية وتطبيقها. وهي تتضمن انسحاب اسرائيل من الأراضي الفلسطينية المحتلة كافة بما فيها القدس العربية وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره على ارضه، وكذلك انسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة لحدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ والإنسحاب من جنوب لبنان وبقاعه الغربي إلى الحدود المعترف بها دولياً.

يدعو المؤتمر جميع الدول إلى ممارسة الضغط على إسرائيل لحملها على الإلتزام بعملية السلام والأسس التي بنيت عليها وربط علاقات هذه الدول مع إسرائيل بمدى التزام اسرائيل بعملية السلام وتنفيذ التزاماتها.

يعتبر المؤتمر أن الإتفاق العسكري التركي ـ الإسرائيلي الأخير يشكل تهديداً للامن العربي■■

قضايا ثقافية

# بيروت.. المدينة

## في الذكرى الخمسين للنكبة!

شكراً بيروت.. شكراً لكِ لأنكِ، السبّاقة بين العواصم العربية، في التقاط المبادرة، والوقوف عندها. ولأنكِ سبّاقة في خرق أساليب التعاطي التقليدية، البكائية، المقيتة معها.

شكراً لمسرح بيروت، والمقيمين عليه، لأنه أراد أن يكون النافذة المشرعة، والفضاء المفتوح الذي تطل منه قضية العرب الأولى في ذكرى نكبتها الخمسينية.

ربما، لا يحتاج الأمر إلى شكر، فاقل القليل، أن نقف أمام ذاكرتنا النازفة بعد خمسين لعنة، لنتأمّل المشهد، لكننا، ولأننا ننظر فلا نجد سوى امتداد الصحراء فينا، وتكاثر القبائل والشيع والشراذم من حولنا، نرى، أن الأمر يستحق الشكر بعيداً عن الكلمات الكبيرة الطنّانة، والجمل العاطفية المكرورة.

ربما هناك بضعة رجال، أخذوا الأمر على عاتقهم، وهم يغصّون بالمرارة، إذ يرون أن الهزيمة تحولت إلى هزائم، والنكبة تتالت نكبات... من العراق المحاصر بجوعه إلى الجزائر الذي يذبح بعضه بعضاً، مروراً بالقدس التي لم يبقَ منها سوى درب الآلام الذي سار عليه المسيح حاملاً صليبه!

من بيروت اليوم، تنطلق مسيرة شموع إلى مقبرة شهداء مذبحة صبرا وشاتيلا، لتذكّرنا، وتذكّر العالم أجمع بكل المجازر التي ارتكبت بحق شعبنا من دير ياسين إلى مجزرة قانا، إلى المجازر اليومية التي يُراق فيها دمنا رخيصاً.

في بيروت هذه، تُقام على مدار ثلاثة أشهر، مجموعة فعاليات فكرية، وفنية، وسينمائية، ومسرحية، وشعرية يشارك فيها كبار المفكرين والمبدعين العرب... فلماذا لا تتحول كل العواصم والمدن العربية إلى ورش فكرية وثقافية بهذه المناسبة؟!

وذلك، كي لا تجفّ الذاكرة، وحتى تعي الأجيال الجديدة تاريخها، لعلها تعيد صياغته فعلاً فكرياً، وسياسياً، وثقافياً فاعلاً بدلاً من الوقوف على الأطلال.. والبكاء!

الهدف الثقافي

## الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين

# الأسبوع الثقافي الخامس في جامعة دمشق: عناوين كبرى تبحث عن معادلها الواقعي

أحمد خليل

تحت هذا العنوان عقد قسم الفلسفة في جامعة دمشق ندوات الأسبوع الثقافي الخامس الذي يقام كل عام. هذا الحدث الثقافي الدوري يشكل بؤرة مضيئة، يلتقي فيه المثقفون على تعدد مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية، يساهمون في حوار ديمقراطي متعدد الإتجاهات في زمن «العطش إلى الحوار».

هذا الموسم الفكري الخصب ننتظره كل عام لنواجه بعضنا البعض حاملين معنا أسئلة الراهن من حياتنا الوطنية - الإجتماعية ضمن هذا الاضطرام والتداخل العولماتي وإنهيار منظومة الأفكار والايديولوجيات السابقة، الذي جعلنا أمام أنفسنا ربما للمرة الأولى بهذا الشكل الفاضح، لذلك ابتدأنا عهد اكتشاف الذات والآخر والبحث عن أفق جديد يناسب تطلعاتنا المستقبلية وواقعنا المعاش.

استهل الأسبوع نشاطه بندوة تكريمية للمربي والمفكر الدكتور عبد الكريم اليافي، تناولت الندوة سيرة اليافي الأدبية والعلمية ومساهماته الكبيرة في الثقافة السورية ودوره المميز في نشوء وارتقاء وتطور قسم الفلسفة وعلم الإجتماع في جامعة دمشق، وتناولت الندوة الكتب التي ألفها والبحوث التي نشرها وأغنى بها المكتبة العربية كما ركز المحاضرون على الجانب التربوي في حياته العلمية حيث أسهم في تخريج أجيال عدة أعطاها من فكره ومن ثقافته الكثير.

### د. حسن حنفي

المفكر المصري الدكتور حسن حنفي ألقى في اليوم الأول من الاسبوع محاضرة بعنوان «قضايا الحوار بين تيارات الفكر العربي المعاصر» جاء فيها: إن الحوار الوطني يعني تجاوز الفرقة وامتلاك الحقيقة من طرف واحد واحتكارها واستبعاد الآخرين. في الظاهر خلاف نظري وفي الحقيقة صراع على السلطه. والحوار الوطني بدأ بعد هزيمة حزيران ٦٧ أولاً بالنقد الذاتي الذي يقوم به كل تيار وثانياً بعقد عدة حوارات وطنية: الحوار القومي الإسلامي - القومي الماركسي - الإسلامي الماركسي ومازال الحوار يعني التقارب والتعاون أمام خطر مشترك وتحديات مصيرية. وهناك أربعة تيارات فكرية سياسية في العالم العربي: الحركة الإسلامية - القومية - الليبرالية - الماركسية وهي كلها مؤثرة في الشارع العربي والجماهير العربية تنبع منذ القرن الماضي وتتحول إلى نظم للحكم في هذا القرن.

وقد وصل الخصام الوطني إلى حد الإقتتال في مصر والجزائر فيما يطلق عليه الصراع بين السلفية والعلمانية، كل منها يستبعد الآخر، تكفير الأول للثاني وتخوين الثاني للأول. ولكل تيار مميزاته وحدوده، فالتيار السلفي يحافظ على الهوية وينبع من التراث كرد فعل على التغريب ويجاهد في فلسطين ولبنان ويربي الأمة على الأخلاق وله حدوده من النصية والحاكمية والتركيز على الشعائر والحدود والتعصب للرأي والتوجه إلى السلطة وممارسة العنف واللجوء إلى الحركات السرية. وللتيار العلماني مميزاته: اللغة الإنسانية المفتوحة مثل الحرية والديمقراطية والشعب والجماهير والكفاح والنضال والدستور والقانون والعقد الإجتماعي والمجتمع المدني والدفاع عن المصالح العامة والإعتماد على العقل والتجربة والحوار مع الآخرين وله حدوده، أثر الغرب الليبرالي القومي الماركسي عليه، النخبوية، اعتناق الخاصة له، معاداة التراث القديم، مع ذلك هناك هوامش مشتركة بين التيارين قد يجعل الخلاف في الظاهر وليس في الجوهر، في اللغة والمنهج والتصور.

إذا كانت التحديات العصرية سبعة: تحرير الأرض، حرية المواطن، العدالة الإجتماعية، توحيد الأمة، الدفاع عن الهوية، التنمية المستقلة وتجنيد الجماهير، فإن هذه التيارات الفكرية الأربعة يمكنها أن تتعامل مع هذه التحديات المشتركة، تحرير الأرض المحتلة باسم الله أو باسم الأمة العربية أو باسم الحرية أو باسم العمال والفلاحين وحرية المواطن يمكن الدفاع عنها باسم لا إكراه في الدين، وارفع رأسك يا أخي والحرية كحق طبيعي وحرية الشعوب ووحدة الأمة يمكن أن تتم باسم وحدة الأمة الإسلامية والقومية العربية والعالم الحر والأممية الإشتراكية والعدالة الإجتماعية يمكن أن تتحقق باسم حق الفقراء في أموال الأغنياء والإشتراكية العربية والإشتراكية الديمقراطية أو العلمية والدفاع عن الهوية يمكن القيام به باسم التمايز بين الأنا والآخر وباسم العروبة والمنافسة الحرة والصراع الطبقي والتنمية المستقلة. تتحقق باسم تسخير الله الطبيعة للإنسان والتخطيط وقوانين العرض والطلب وسيطرة الشعب على وسائل الإنتاج وتجنيد الجماهير وتحقيق الرسالة والأمانة في الأرض والأمة الخالدة وحرية الفرد والثورة المستمرة.

### المفكر كريم مروة

المفكر اللبناني كريم مروة ألقى في اليوم الثاني من الأسبوع محاضرة بعنوان: «تجديد المشروع الإشتراكي وفكره عربياً».

أكد مروة على ضرورة إعادة النظر بمفهوم الإشتراكية كفكر وكمشروع سياسي كونها ترمي إلى جعل الإشتراكية حلاً مستقبلياً لمشكلات بلداننا والتي من خلالها نحدد واقع بلادنا والمهمات المرتبطة بتغيير هذا الواقع. لكن تواجهنا هنا صعوبة تحديد البدائل لما طرحه «ماركس» من مفاهيم حول الإشتراكية، فماركس أخذ وقته، وخلال مئة وخمسين سنة لم يجر اجتهاداً حقيقياً في تجديد الفكر الإشتراكي لذلك هناك فجوة طويلة للزمن ومن هنا تنبع صعوبة هذا التجديد. لكن هذه الصعوبة



لانتهي مهمتنا في التحديد، حتى لو وصلنا إلى تحديدات فإن هذا التحديد ينبغي إعادة النظر فيه بصورة دائمة، فانتاج الفكر عملية متواصلة لايتم مرة واحدة فأي حديث عن انتاج فكر لمرة واحدة هو عدمي عبثي وهو تجميد لحركة التاريخ ومناقض لما قاله ماركس بالأساس أي التعدد والتنوع والجدل في الصراع الدائم هناك ما يشيخ ومن يشيخ وهناك من يولد وما يولد من جديد.

وعلى قاعدة المنهج الماركسي تم طرح عدة أفكار حول التجديد الفكري لصياغة المشروع وهذا المشروع مرتبط بمهمات تتحدد بالزمان والمكان وهذا التجديد يجد تجسيده ببرنامج فهناك تلازم بين الفكر والحركة، فالحركة يجب أن يتم تكوينها والتكوين عبارة عن معرفة ووعي قائم على قاعدة هذه المعرفة وإرادة على قاعدة هذه المعرفة والوعي ثم الكفاح، وهذه المجموعة تشكل فيها الحركة فالحركة ليست الحزب، إنما الحزب أحد الأشكال للتعبير عنها.

## د. احمد برقاوي

أعقبت محاضرة كريم مروة محاضرة الدكتور أحمد برقاوي التي عنونها بـ «المشروع القومي وإشكالية الدولة القطرية» جاء فيها:

إن فكرة المصير، مصيرنا نحن العرب مازالت تحرك وعينا، إن كان وعياً بالواقع أم وعياً بأفكارنا عنه، وكلما تعمق وعينا رفضاً للواقع أو وعياً بأفكارنا عنه إزداد هاجس صياغة المشروع وإزدادت ضرورته في حياتنا. وإذا كنا نعيش اليوم إحساساً فاجعاً بإخفاق مشاريعنا الكبرى فإن إحساساً آخر ينمو بضرورة الجديد من المشاريع وذلك لرسم طريق للممارسة العملية والحيلولة دون الوقوع في القنوط، وقد ذكّر برقاوي بالحالات المتعددة من الوعي بالمشاريع الكبرى التي أنتجتها النخبة العربية، منها حالة التمسك بالمشروع القديم أو إلقاء اللائمة على التاريخ وحالة السعي نحو تجديد المشروع القديم انطلاقاً من استمرار المشكلات ذاتها التي واجهها المشروع القديم وحالة البحث عن مشروع جديد، عله يستجيب للواقع الجديد، وحالة الوعي العاجز الذي استسلم للواقع الراهن والنظر إليه بأنه الواقع الواقعي، إن المشروع القومي لم يصنع مرة واحدة وإلى الأبد لسبب أساسي أنه قد رسم المستقبل من زاوية اللحظة المعيشية، رغم أن اللحظة المعيشية تصير إلى ماض على الدوام ولهذا يكون السؤال المهم هو كيف ننظر إلى المستقبل في واقع جديد ينطوي على إمكانيات وشروط لم تكن حاضرة في الماضي.

وركّز برقاوي على أن نقطة الإنطلاق في المشروع القومي في إطار إشكالية الدولة ـ السلطة القطرية تعتبر نقطة بالغة الصعوبة وأنه من الطبيعي أن يكون أي مشروع حول الأمة غير منفصل عن دولة الأمة إذ لايمكن تصور الأمة خارج معادلها السياسي «الدولة»، ووجود الأمة خارج الدولة أمر متناقض عملياً ومن هنا نشأت صعوبة المسألة بسبب وجود أمة في عدة من الدول لايمكن من خلالها تجاوز الدولة القطرية إلى دولة الأمة. كما طرح د. برقاوي مفهوم الدولة الوطنية الديمقراطية التي تعني دولة المواطنة وانتصار الخيارات الحرة للأفراد داخل الوطن حيث بالوطنية يتم تحقيق مصالح البشر بوصفهم مواطنين مشيراً إلى أن الديمقراطية طريقة إنتاج المواطنين للنظام السياسي. وهذه الدولة تقطع العلاقة القائمة الآن بين السلطة وملكية السلطة وتقضي على حالة دولة الرعية. وفي دولة المواطنة، مقابل دولة الرعية حيث تنتصر مصالح السلطة بمعزل عن المصالح الوطنية فيها، تنتصر فيها المصالح الوطنية. في انتظار الدولة الديمقراطية الوطنية يصبح إنعاش حول طريقة إنجاز دولة ما فوق قومية خاضعاً لاعتبارات عملية فقط.

## المفكر محمود أمين العالم

المفكر المصري محمود أمين العالم شارك في اليوم الثالث من فعاليات الأسبوع بمحاضرة عنوانها: «النهضة الثالثة وإمكاناتها في الحياة العربية المعاصرة» قال فيها:

المقصود بالنهضة: التغيير الكياني الجذري الشامل النابع اساساً من الذات المجتمعية وإذا صح هذا فإننا نجد أنفسنا مواجهين بسؤال النهضة العربية الثالثة ومدى توفر إمكانيات هذا التغيير الجذري الشامل النابع من الذات العربية لإنجاز هذه النهضة.

وعرج العالم على النهضة الأولى والثانية فقال: النهضة الأولى هي النهضة العربية الحديثة والتي نشأت في أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والفضل فيها يعود لصدمة الحداثة التي نجمت عن حملة الفرنسيين على مصر وهي صدمة حضارية شاملة.

أما النهضة الثانية فقد برزت في إطار أوضاع عالمية ومحلية منها: ١ـ ظهور الإتحاد السوفيتي، ٢ـ نشوء الكيان الصهيوني، ٣ـ تطور مختلف البلاد العربية بمستوى أو بآخر خلال الحرب الثانية اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وتحدث العالم عن إيجابيات هذه المرحلة وإخفاقها وسلبياتها، بعدها انتقل المحاضر إلى إمكانيات النهضة الثالثة: شرح العالم بشكل موسع الظروف الحالية للبلاد العربية وإنهيار المشاريع والطموحات الكبيرة التي حملتها التيارات الفكرية والسياسية في العالم العربي، ورسم تضاريس المرحلة الراهنة ونظام العولمة وتأثيره على واقعنا ليصل إلى الشروط الواجب توفرها للنهوض بمشروع النهضة الثالثة: أول هذه الشروط هو التركيز على البناء من أسفل البناء في نسيج العلاقات المجتمعية الوطنية والقومية على السواء، ومن هذا الشرط تنبع شروط أخرى منها السعي إلى تنمية وتعميم الرؤية العقلانية والعلمية والتاريخية والنقدية المتجددة في تناول مختلف القضايا الحياتية والعلمية والفكرية وهذا الأمر يكون على مستوى المجتمع العربي ككل. كما أن إشكالية النهضة ليست كامنة في الذهن فقط إنما في الواقع اساساً لذلك فمن أجل تغيير الواقع السائد ينبغي الإعتماد ليس فقط على النقد العقلاني وحده، وإنما على الممارسة الفاعلة الواعية القادرة على امتلاك القوانين الواقعية وتغييرها وهذا يتطلب وضع خطة تنمية شاملة متكاملة الجوانب على مستوى كل قطر وعلى المستوى القومي عامة.

أما شرطنا الأخير هو ضرورة الإنفتاح على العالم وعلى القوى الرافضة لهيمنة القطب الواحد والإستفادة من خبرات الشعوب وثقافاتها.

اقترح العالم عدة اقتراحات من أجل الشروع في انجاز نهضتنا الثالثة:

١ـ التنادي إلى تشكيل برلمان للمثقفين العرب يضم مختلف الإتجاهات والأفكار.

٢ـ قيام هذا البرلمان بوضع مشروع تنموي انتاجي عقلاني علمي ديمقراطي شامل لأمتنا العربية يراعي التباين والإختلاف.

٣ـ تشكيل جامعة للشعوب العربية في توازٍ مع جامعة الدول العربية.

٤ـ السعي والتطلع إلى تشكيل هيئة عالمية تمثل مختلف شعوب العالم تمثيلاً ديمقراطياً لتكون عمقاً شعبياً لهيئة الأمم المتحدة.

## الرواية العربية

اليوم الرابع خُصص للادب وكان هذا جديد اسبوع هذا العام، فتحت عنوان «النهضة والسقوط في الرواية العربية المعاصرة» تحدث كل من د. فيصل دراج، الأديب وليد اخلاصي، والكاتب نبيل سليمان.

المحاضرة الأولى قدمها د. دراج بعنوان «الرواية العربية واتساع الكتابة وانحسار القراءة» جاء فيها:

إن الرواية العربية إزدهرت في العصر الحديث وتطورت استطراداً مع صعود وتنامي مقولة الإنسان، الإنسان بكل أبعاده هذه المقولة التي تصنع جذر الإنسان في ذاته وتنصبه سيداً ليس فقط على المكان وأشيائه بل وعلى ذاته وايضاً ومصيره بعد أن كان هذا الإنسان خاضعاً لسلطات عليا مختلفة غيبية ودنيوية بل ومجتمعية أيضاً تنكر ذاتيته وتجعل منه شخصية بقناع بشري لاشخصية له، وقد عُرفت الرواية العربية بمجتمع عربي غريب عن المتعدد والمختلف أي نشأت في ظل سلطة عثمانية توطد معنى الرعية في السياسة والثقافة واللغة وتجعل من المعارف جميعها أداة لتسويغ وتبرير السلطة السياسية المطلقة فاختصرت هذه السلطة المعارف جميعها في نص ديني مسؤول سلطوياً يحول الدين إلى مشتق من مشتقات السلطة لا أكثر. غايته ثبات الواقع وثبات اللغة الجاهلة التي تحفل بالصمت والإمتثال. والحقل السياسي ـ الإستبدادي حدد ولادة الرواية العربية فجاءت نقيضاً لكل تصور استبدادي للعالم كما لو كانت الرواية لحظة ولادتها نصاً يدافع عن التنوير ويناضل من أجل الوصول إلى عالم أجمل خالٍ من الإستبداد والقهر فكانت رواية ايديولوجية خالية من مفهوم الرواية بالمعنى الفني ـ الرواية العربية تكتب عن اغتراب تتأمله واغتراب تعيشه، اغتراب عن المجتمع والتاريخ، فهي تعبر عن لحظة من لحظات الإبداع ذاته أي عن اغتراب الذاتي كجنس كتابي مزدهر يفتش عن قارئ له بعد أن اتهمت الثقافة التقليدية قارئه المحتمل، حيث الإغتراب الأول يظهر مأساة المجتمع العربي الذي أطلق رواية متفائلة كان عليها بعد زمن أن ترثي مرجعها التاريخي الأول وأن تعيش زمانها كلقيط كتابي وذلك في مفارقة غريبة تقول: كلما تقدمت الكتابة الروائية العربية تحولت القراءة الروائية بالمعنى المجتمعي إلى مجرد احتمال، كما لو كانت الرواية جنساً أدبياً مغترباً يتعامل معها قارئ لايقل اغتراباً عن تلك الرواية.

بعد محاضرة د. دراج ألقى الروائي وليد اخلاصي محاضرة عنوانها: «تأملات في مسيرة الرواية العربية» قال فيها:

خروج الفرنسيين عام ٤٦ من سورية جعل السوريين يهللون لهذا الخروج بمختلف عقائدهم ومذاهبهم وأديانهم واصبح الشعب السوري صاحب القرار وبات له ثقافة جديدة هي ثقافة الإستقلال. وما يهمنا هنا هوالرواية العربية واسباب نهوضها وسقوطها، حيث أن المثقف العربي وبالتالي الروائي لم يكن مندمجاً بشكل كامل في أحداث مجتمعه وهذا يقود إلى الإعتراف بأن الحديث عن الرواية العربية هو حديث عن الثقافة العربية، فهي كالعربة التي تجرها ثلاثة أحصنة الحصان الأول الإبداع والثاني العقلانية والثالث الديمقراطية والإبداع لايعني فقط التخيل لكنه يعني التخلص من الفكر السلفي ليس بالمعنى الديني وإنما فيما يختص بميكانيكية الافكار التي تفرض نفسها على الإنسان فحصان الإبداع يجب أن يكون متمردا، مدرباً على اجتياز الحواجز التي ترتفع كلما إزداد تقدماً، أما العقلانية أي التنوير التي نتحدث عنها كما نتحدث عن العنقاء فهي غير متحققة بشكل كامل في حياتنا الثقافية أما حصان العقلانية فهو دائماً مقيد وجبان.

والرواية لها أهميتها الكبرى بالنسبة للأجناس الأدبية الأخرى فلماذا تبرز على الساحة دائماً والحديث مستمر حولها بعد أن كان منصباً على الشعر؟ السبب برأي يعود إلى تدهور الشعر أما الرواية فاصبحت أكثر بروزاً لأنها بدأت تأخذ حيزاً في الحياة الإجتماعية لكن في تقديري أن الرواية لم تبدأ بعد لأنه ليس هناك رواية تحت وسادة شاب عربي يقرؤها قبل أن ينام، لكن هناك أحياناً كتاب شعر أو كتاب مقدس موجود على رف المكتبة، وليس هناك من القصص الأدبية ما يميز الثقافة العربية سوى ألف ليلة وليلة. وأن نسبة التطور الواعي خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة فاقت كل الوعي في الألف سنة الأخيرة لكن الثقافة العربية مصابة بالوعي الزائف لذلك لابد من الوعي العلمي.

الروائي نبيل سليمان ألقى محاضرة بعنوان «النهضة والسقوط سيرة ذاتية» تحدث فيها عن المشهد الروائي العربي وعن تجربته الروائية في «مدارات الشرق» وركز على نقد الواقع الروائي العربي وقال: إن الدوار يعصف بالروائي العربي جراء سلسلة الروايات التي صاغها وتداولها المفكر العربي منذ عقود وهذه السلسلة هي الشكل التالي: نهضة ـ سقوط ـ حديث ـ هزيمة ـ فوات... الخ. والروائيون العرب والمفكرون يلاحظون قدراً كبيراً من التهويم الذي يطغى على التفاصيل الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية والتي تطبع شطراً كبيراً إن لم يكن الشطر الأكبر من اشتغال المفكر العربي في تلك السلسلة، كما يلاحظون تفاقم الصدى الأوروبي ومراوحة الأسئلة، على سبيل المثال بداية النهضة ونهايتها بين محمد علي أم نابليون أم المراوحة حول السقوط الأكبر عام ٦٧.

إن عوامل النهضة هي عدم محاسبة الكاتب من قبل السلطات السياسية أو الإجتماعية والإهتمام به ورعايته أما عوامل سقوط النهضة هي عدم إيجاد حوافز مادية مناسبة للباحثين والمفكرين.

## د. حافظ الجمالي

في اليوم الخامس ألقى الدكتور حافظ الجمالي محاضرة عنوانها «النزعة الليبرالية في الحياة العربية المعاصرة» جاء فيها: الليبرالية فلسفة سياسية أنضجت من قبل ثلاثة فرنسيين كبار هم: فولتير ـ روسو ـ ديدرو، خلاصتها عندهم أن الإنسان كان طيباً ويجب أن يكون حراً في التعبير عن آرائه بشتى الطرق. والليبرالية من جانبها السياسي هي أرقى من كل نظام آخر: فالحكم إما أن يكون ملكياً، إرثياً أو عسكرياً تم بانقلاب، أي حكم القوة رغماً عن الشعب، وفي الحالين نجد أن الحكم غير شرعي وغير مريح للناس. فالملوك يخطئون أخطاء فظيعة ويرتكبون آثاماً كثيرة مثل تلك المأثورة عن ملك أموي أراد اتباع سيرة عمر بن عبد العزيز نزاهة وتقوى، فتقدم له أربعون رجلاً من دمشق، شهدوا لديه أن لا حساب على الخليفة وأنه يدخل الجنة بلا حساب، فعدل عن سيرة عمر بن عبد العزيز وافسح المجال لأهوائه. وقد مثل ذلك في هارون الرشيد الذي قطع رأس قائد عسكري كان يصحب ابن الخليفة دون أي مبرر إلا الظلم، لأنهم يظنون أن الحكم هبة من الله لامن البشر على حين أن الليبرالية تقول «إن لاشرعية لأية سلطة ما لم تكن قد صدرت من الشعب». وكان اليونان والرومان يعرفون ذلك ففضلوا النظام الجمهوري وكانت روما تختار ثلاثة قناصل للحكم واحد لشؤون الدين والآخران يتقاسمان السلطة ولايبقى أي منهم إلا سنة واحدة خوفاً من أن يصبح ملكاً. أما الحكم القائم على القوة فهو بالدرجة الأولى حكم عسكري يرى من حق القائد أن يصدر الأوامر وأن على الناس الإطاعة وهذا نظام مرفوض بطبيعة الحال فلم يبق إذن إلا النظام الليبرالي الديمقراطي الذي يفسح المجال لكل فرد بالإعراب عن رأيه ليس هذا فحسب وإنما هذا النظام الليبرالي يزيد العلم والمعارف ويضاعفها وذو جدوى اقتصادية كبيرة ويتميز باحترام كبير للإنسان لذلك هو أكثر نظم الحكم عدلاً وأقلها ظلماً.

## د. طيب تيزيني

الدكتور طيب تيزيني شارك في اليوم السادس بمحاضرة بعنوان «المشروع الإسلامي باتجاه جدلية الكوني الكلي والخصوصي الجزئي» سعى من خلال محاضرته للبحث في العلاقة بين الكونية والخصوصية ضمن إطار المشاريع الأساسية الأربعة: القومي ـ الإسلامي ـ الماركسي ـ الليبرالي، محاولاً اكتشاف الخلل بين هذه الفرق في المشاريع التي تبنتها، فأشار إلى أن هذا الخلل أتى بالأساس تحت عبء الإشكالات التي واجهتها المشاريع في إطار الإخفاق النهضوي العربي بداية هذا القرن، وركز تيزيني على المشروعين الإسلامي والماركسي وحاول تقديم قراءة جديدة للنص الإسلامي من داخله، قد تسعف هذه القراءة في التركيز على مفهومي التعددية والتاريخية ورأى فيهما حالتين حاسمتين يمكن أن نجعل منهما مدخلاً إلى إعادة بناء المشروع الإسلامي ليكون قادراً على الإستجابة لإحتياجات العصر فالاسلام سيبقى مفتوحاً ولكنه لن يكون الحل إذا لم يكن هناك تشخيص وتخطيط منطقي وواقعي لأن الإسلام جاء ليقول أنه كتاب هُدى ولم يعلن أنه كتاب علم لأن كتاب العلم متغير من يوم إلى يوم أما كتاب الهُدى هو كتاب في المنهج الأخلاقي النفسي للناس لذلك ايجاد الوحدة الحقيقية بين الدين والعلم قد يكون هاماً جداً على صعيد ما نحن بصدده.

## د. حامد خليل

عميد كلية الآداب د. حامد خليل ختم الأسبوع الثقافي الخامس بمحاضرة عنوانها «مشكلة الهوية في الفكر العربي الراهن» قال فيها:

يصطدم الراصد غير المتعمق لما يجري في الساحة الثقافية والإجتماعية العربية بوجود وجهات نظر متباينة كثيرة حول مسألة الهوية، الأمر الذي يجعله يخال أنه في مواجهة هويات وليس هوية واحدة تشكل كل منها فضاء ثقافيا قائماً بذاته دونما رابط مع الفضاءات الأخرى. فهل يدفعنا ذلك إلى الإستنتاج باننا نعاني أزمة هوية في الوطن العربي هي السبب في تدهور الحالة التي وصلنا إليها أم أن فشلنا في مواجهة التحديات الحقيقية الداخلية والخارجية الراهنة هو الذي افضى إلى تندر المجتمع العربي على النحو الذي يبدو فيه وكأنه مجتمعات ذات هويات مختلفة؟

الفكر العربي المعاصر تتجاذبه أنواع عدة من الإنتماء تشكل بمجملها ساحة صدام بين التيارات الإيديولوجية القائمة الأمر الذي ينذر بخطر داهم على الجسم العربي.

إن العربي كغيره من البشر هو نتاج عملية تاريخية طويلة أسهمت عوامل عدة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية في تكوينه على هذا النحو أو ذاك، فقد وُضع في شروط متغايرة كان لها دور كبير في صياغة هويته على نحو تعايشت فيها انتماءات متعددة يأتي في مقدمتها الإنتماء القومي وقد بدأت تلك الإنتماءات بتبادل الأدوار وفقاً للشروط التي تحكم حياة ذلك العربي وهذا يعني أن الأزمة القائمة ليست أزمة هوية وإنما هي أزمة اجتماعية في المقام الأول. أما أمر تفسير تعدد التيارات وتناقضها في النظر إلى مسألة الهوية في المرحلة الراهنة فإنما يعود في نظري إلى عاملين رئيسين: عامل ذاتي يتعلق بطبيعة النخبة التي تقود تلك التيارات وآليات تفكيرها وعامل موضوعي يتعلق بالوضعية العربية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية المتخلفة القائمة في الوطن العربي والتي تفضي إلى ظهور الإنتماء ما قبل القومي وتراجع الإنتماء القومي إلى الخلف لذلك لابد من مراجعة نقدية من قبل تلك التيارات لأطروحاتها النظرية بحيث يغدو بناء المستقبل وليس الإنشداد إلى الماضي هو الأساس الذي يحكم نظرتنا إلى مسألة الهوية شريطة أن يترافق ذلك مع التخلص من النظرة الضيقة السابقة التي تنظر إلى الإنسجام التام في الأصل أو العرق أو اللغة أو الثقافة أو الدين بوصفه الأساس المبنية عليه الهوية وإحلال منطق التنوع والتعدد في إطار الوحدة ■■

## دولة المواطنين مقابل دولة القبيلة

# المجتمع المدني

# كما يراه عزمي بشارة

أحمد جابر




ينتمي عزمي بشارة إلى نمط من المثقفين العرب، يهوى التنقيب والبحث عن الحقيقة في مناهلها، بادياً في كلماته المختلفة، كفدائي يعمل خلف خطوط ثقافة سائدة، تأخذ دلالاتها من مفاهيم مختلفة، منتزعة من سياقاتها الطبيعية، وهو في كفاحه الفكري والسياسي ضد هذه الثقافة، يعيد انتاج المفاهيم المشوهة ضمن سياقاتها التاريخية، لتكون منسجمة مع خصوصيتها المحلية، ولتشكل بالتالي منطلقاً صحيحاً للسير قدماً في اعادة الاعتبار للمشروع القومي العربي، واطلاقه نحو آفاق تحرره من أزماته التي كرست الاعتقاد بفشله ونكوصه.

وفي محاضرته في جامعة دمشق ضمن نشاطات الاسبوع الثقافي لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب، قدم د. بشارة ما كان متوقعاً منه، وكان قادراً بسهولة على حل معضلة التوفيق بين اللغة الأكاديمية المكثفة الرصينة العالية، والانفتاح على جمهور متنوع، بقدرة مميزة على التوصيل والتواصل، هذه القدرة التي ظهرت جلياً في النقاش الذي دار، وفي ردود أفعال الكثيرين الذين حضروا هذه الندوةوالتي يمكن القول أنها أسهمت في اعطاء زخم مميز لهذا الأسبوع.

«هل أصبح الخيار الوحيد لاستكمال آفاق المشروع القومي هو بناء المجتمع المدني والمواطن، وحقوق المواطنين في الدولة، لتبنى الأمة الديمقراطية التي تستطيع بعد ذلك خياراً واتحادياً استكمال المشروع القومي العربي؟» بهذا السؤال الاشكالي والمفتاحي في آن معاً، أنهى المفكر العربي الفلسطيني الدكتور عزمي بشارة محاضرته، التي تناولت المفاصل الأساسية لكتابه «مساهمة في نقد المجتمع المدني» الذي يصفه الدكتور فيصل دراج بأنه أفضل ما كتب عن المجتمع المدني بالعربية.

ينصب جهد د. بشارة في نقده لفكرة المجتمع المدني حول تفكيك هذا المفهوم بحثاً عن تناقضاته في سياقاتها الأيديولوجية والتاريخية المختلفة، والتي أدت فيما أدت إليه إلى الباس هذا المفهوم ما لايحتمل، أو بمعنى آخر، اعادة ابتكاره في سياق لا تاريخي مستعار، يجرد المفهوم من شرطه التاريخي الطبيعي، ليحوله إلى مجرد نبت شيطاني معزول عن تعيينه الاجتماعي التاريخي المحدد. وبحث بشارة في تناقضات المفهوم لا يعني نقضه، بقدر ما يعني اعادة الاعتبار إليه في سياقه الحقيقي وعلاقته الطبيعية بمفهومين لا يقلان أهمية عنه أي الدولة والأمة، ويعيده إلى مرجعيته التاريخية عبر مساهمات اعلام الفكر العالمي أو تطبيقاته اللاحقة على المستوى السياسي والاجتماعي.

في هذا السياق يبين د. بشارة مدى الخطأ الفادح وسوء الفهم الذي وقع فيه المفكرون العرب عندما بدأوا الاحتفال بمفهوم المجتمع المدني باعتباره بديلاً عن ذات تاريخية فاعلة، أي كبديل عن فكرة الأمة والقومية، دون أن يتم التقاط العلاقة الجدلية والتزامنية بين مفهومي المجتمع المدني والأمة والقومية، وفي هذا السياق يؤكد د. بشارة أن الحديث عن هذه المفاهيم هو حديث عن مفهوم واحد «الأمة» بالمعنى الحديث للكلمة هي مجتمع مدني في علاقته بالخارج والمجتمع المدني بالمعنى الحديث هو أمة في علاقتها بالدولة، هذا الخطأ الناتج أصلاً عن حالة من التبعية الثقافية، وعن أزمة فكرية عميقة أدى إلى نوع من البحث عن حلول جاهزة لمشاكل ذات طبيعة تاريخية، وهذه الحلول الجاهزة كانت مستوردة بدورها دون أن يعاد تأصيلها في الواقع العربي.

وبسبب الفشل في تأصيل هذا المفهوم أو عدم العمل على ذلك ـ ربما ـ لم يستطع الارتقاء إلى مستوى اعطاء جواب عن المشكلة القومية ولم يستطع متبنوه الوصول إلى حالة الربط وفهم العلاقة بين المجتمع المدني والدولة مما قاد إلى نتيجة خاطئة جديدة، هي وضع المجتمع المدني في مواجهة الدولة، وبمعنى آخر وضع السياسي في مواجهة الاجتماعي ـ الثقافي، ولعل هذه الحالة عبرت عن نفسها بابتعاد المثقفين عن العمل السياسي وعن الأحزاب باعتبارها أدوات سياسية شريرة، وهي الفكرة التي وجه إليها الدكتور بشارة انتقادات شديدة وجذرية سواء في هذه المحاضرة أو في أماكن أخرى يعتبر أن «هروب المثقفين إلى المنظمات غير الحكومية وغيرها (كبديل للعمل السياسي المنظم) هو هروب مأزوم وخطير جداً، لأن عداء المثقفين للسياسة هو صديق الديكتاتورية الأول».

والمثقفون العرب، برأي بشارة قفزوا مباشرة، إلى آخر ما توصل إليه الفكر الغربي الحديث دون اخضاع هذا الفكر إلى عملية تأصيل.

وفي رده على مقولات من نوع حماية المجتمع المدني من العمل السياسي ومن السياسيين، يعيد د. بشارة تحليل الأفكار الأساسية حول فكرة المجتمع المدني وتطورها في أوروبا، وصولاً إلى نقض الثقافة السائدة عربياً حول هذا المفهوم، باستبدال معادلة المواجهة بين المثقف والسياسي إلى معادلة جديدة تدفع المثقف للعمل السياسي من أجل النظام الديمقراطي.

يعيد د. بشارة فكرة المجتمع المدني في العصر الحديث إلى فترة بدايات البرجوازية الفرنسية، ولعلنا نستطيع تحديد البداية الفعلية مع الثورة الفرنسية حيث أخذت فكرة المجتمع المدني تعبيراتها السياسية والقانونية عبر اعلان حقوق الانسان والمواطن، وربما تعود هذه التعبيرات إلى حصيلة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي عصفت بالمجتمع الأوروبي أواسط القرن التاسع عشر مع الانهيار الكبير للنظم الاقطاعية واحلال النظم الصناعية محلها مما أدى إلى

نشوء نمط جديد للسلطة تمثل بمفهوم «الدولة» بالمعنى الحديث واحلال قوة القانون محل قوة «الجماعة العضوية» بتعبير بشارة، وقيام شرعية التمثيل الشعبي مكان السلطة الميراثية أو الدينية.

يتشكل المجتمع المدني عبر عمليات فرز متعددة تبدأ بتفكيك الجماعة العضوية إلى أفراد، فالمجتمع المدني لا يتحقق إلا بوجود مواطنين معينين بشخصياتهم سياسياً واجتماعياً ككائنات مستقلة ذات سيادة ومتعاضدة تنتمي إلى معاييرها الانسانية بعد انفلاتها من اسار الجماعة العضوية.

وفي هذا السياق يطرح د. بشارة فكرة التعاقد الاجتماعي بين الأفراد «المذررين» بديلاً عن العلاقات التقليدية التي تفرزها الجماعة العضوية، وهذا يقود إلى الأمة.

وفي بدايات التفكير الأوروبي بهذا المفهوم - هوبس نموذجاً - كان المجتمع المدني والدولة هما نفس الشيء وهوبس نفسه يسمي هذه الظاهرة «المجتمع المدني مرة ويسميه الدولة مرة أخرى، يسميه المجتمع المدني مرة ويسميه صاحب السيادة مرة أخرى». التفكير العربي السائد، وقف بمفهوم المجتمع المدني عند هذه المرحلة من الفرز ليضع الدولة في مواجهة المجتمع المدني دون ملاحظة أن الغرب نفسه قد اضطر في مرحلة جديدة من تطوره، وهي مرحلة انفصال السوق عن الدولة، إلى وعي ضرورة وجود دولة، تطبق القوانين، وهذه هي مرحلة الفرز الثانية، التي يحددها بشارة أي الفرز إلى اقتصاد سوق، مقابل الدولة، وفي تعزيزه لفكرته يعدد د. بشارة ست حالات رصدها في تاريخ الفكر الغربي الحديث تغير فيها المجتمع المدني في كل مرة ارتباطاً بالتمايز الجديد المعبر عنه في لحظة تاريخية محددة.

هذه التمايزات والانفصالات المتتالية في الفكر العربي والتي أعادت كل مرة انتاج مفهوم المجتمع المدني وصولاً إلى مرحلة ما بعد الرأسمالية أو الرأسمالية المتطورة بلغة بشارة أدت إلى علاقات جديدة خارج الاقتصاد وخارج سياق السيادة وخارج نطاق السياسة، وهي علاقة ناتجة عن التطور الموضوعي، الذي تم اختزاله عربياً واستيراده محلياً، في محاولة لتطبيقه كرد فعل على الأزمة العميقة التي بعثها المجتمع المدني.

هذه الأزمة التي تتمثل في أحد وجوهها بمعضلتين أساسيتين تواجهان الفكر القومي العربي هما أزمة الديمقراطية ومسألة الاسلام السياسي، «بدون أن نواجه هاتين المعضلتين، لا يوجد آفاق للفكر العربي».

استيراد هذا المفهوم بأحدث أشكاله من الغرب إلى الاطار العربي دون أن يمر بعمليات الفرز السابقة، دون تفكيك الجماعة العضوية، دون نشوء المواطن الفرد، ودون الفصل بين السلطات، وبين المجتمع والدولة ووجود نظام السوق، أدى إلى بقاء الأزمة، بل اسقاط مفهوم مأزوم منتزع من سياقه، و«أنجب نتاجاً مشوهاً هو المنظمات غير الحكومية الممولة غربياً، والتي يضع أجندتها العالم الغربي»، وبالتالي فلكي يعاد المفهوم إلى سياقه يجب الإنطلاق من الخصوصية المحلية للواقع السياسي الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة العربية، وهنا يصبح النضال من أجل المجتمع المدني هو نضال من أجل الديمقراطية، وهذا لايعدو كونه عملاً سياسياً بحال من الأحوال.

ثمة حالة أخرى من سوء الفهم ناتجة عن الخلط بين مفهومي القومية والأمة، وبيّن د. بشارة أن هذا الخلط أدى في الفكر العربي إلى الفصل الحاصل بين مفهومي المجتمع المدني والأمة، انطلاقاً من أن المجتمع المدني منفصل أصلاً عن القومية كونه يشترط تفكيك الجماعة العضوية التي تشكل القومية أحد أبرز أشكالها، فالأمة عند بشارة تتطابق مع القومية في مرحلة محددة هي مرحلة النضال ضد الاستعمار أو الانفصال في حالة الامبراطورية الاستعمارية المتعددة القوميات، وهذا مشروط بظروف هذه المرحلة تحديداً وما تستدعيه من ضرورة تعزيز الروابط العضوية بين الأفراد لانشاء جماعة متجانسة متميزة عن المستعمر، ولكن سوء الفهم كان في سحب هذا الدمج إلى مرحلة ما بعد الاستقلال.

والمفهوم الحديث للأمة هو اعتبارها تعاقداً بين مواطنين أحرار وبهذا المعنى لا يمكن الفصل بين مفهومي الأمة والمجتمع المدني، وأي فصل قسري ناتج عن احباط المثقفين العرب من العمل السياسي مما يؤدي إلى اخراج المجتمع المدني من الدولة، باعتبارها شراً مطلقاً وهذه برأي بشارة «فكرة استشراقية» تدفع مثقفي العالم الثالث لمغادرة العمل السياسي، وهذا ما يفنده في أطروحته الأساسية، أن تكون المجتمع المدني مشروط بفكرة الدولة التي تقابله، وعلى عكس المطروح في الثقافة العربية السائدة أن المجتمع المدني يعبر عن ضعف الدولة. يقول د. بشارة أن وجود المجتمع المدني هو تعبير عن قوة الدولة.

ولعل هذا التأويل الخاطئ لمفهوم المجتمع المدني بكلمات د. دراج هو ما يدفع باتجاه العمل على اضعاف الدولة، حلماً بمجتمع مدني، ويغيب عن هؤلاء أن الذهاب بهذا الاتجاه دون تحقيق التمايزات المذكورة، دون تفكيك الجماعة العضوية، ودون حقوق المواطنة وغيرها، انما يقود إلى تكريس الجماعة العضوية نفسها من طوائف وقبائل باعتبارها مجتمعاً مدنياً، ولكنه في الحقيقة مجتمع مسخ مهدد بالانهيار في أية لحظة، ان التاريخ الحديث للكيانات العربية القائمة يقدم دليلاً هاماً، ونموذجاً دراسياً جيداً لمن يريد التعمق في هذه الاشكالية، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن لا يغيب عن البال الخصوصية العربية التي تتحدد بامتدادات النفوذ الاستعماري بعد رحيله، هذه الامتدادات التي فرضت كيانات عربية محكومة في بنائها للجماعة العضوية أصلاً مما أعاق فعلاً ومايزال يعيق تشكيل مجتمع مدني.

لم يكن الحل في دولة بوليسية قومية، لأن هذه الدولة لم تكن إلا تكتلاً مبنياً على تحالفات مصلحية وأنانيات طائفية وقبلية، ولم يكن الحل في اضعاف الدولة وتدميرها لأن هذا الاضعاف كان لمصلحة الطوائف والقبائل بل والمافيات أيضاً.

وإذا كانت الحالة اللبنانية تقدم النموذج الأبرز لهذه الظاهرة، فاننا نجد تعبيراتها المختلفة أيضاً في دولة عربية أخرى تستحق البحث والدرس كما في السودان والعراق والاستخدام الأداتي للجماعة العشائرية في الاردن، وهذه النماذج تنطبق على كل الخارطة العربية.

المعضلة الأخرى التي يناقشها د. بشارة، هي فشل المشروع القومي العربي في انشاء أمة ذات سيادة وبقائه يتراوح في مجال الإيديولوجية القومية، وبدلاً من ذلك نشأت دول قطرية ذات سيادة بدورها، مرشحة إزاء استمرار فشل المشروع القومي إلى التحول إلى أمم ذات سيادة.

ومن ضمن المخاطر التي أدى إليها فشل المشروع القومي العربي في إنشاء أمة ذات سيادة، تعزيز التطرف القومي باتجاه معاكس للفكرة المقصودة نفسها في محاولة للتعويض عن الواقع السلبي من تفكك وانحدار باللجوء إلى عوامل القومية الجامعة للحفاظ على التجانس والتوحد، وهذا ما ينعكس في الفكرة القومية العربية التي تحولت إلى أيديولوجية حزبية، ومن جهة أخرى عززت التوحيد الثقافي للأمة العربية لدرجة عالية.

والسؤال الذي يطرحه د. بشارة هو هل يمكن أن تتحول عملية التوحيد والتجانس الثقافي إلى التطابق مع فكرة الأمة السياسية السيادية، ان الجواب كما يقدمه هو سياسي بالضرورة وتتم الاجابة عنه في حقل السياسة والعمل السياسي.

ان الحل هو «استكمال بناء المواطن مقابل الدولة، والديمقراطية في الدولة شرط استكمال الوحدة العربية وانشاء الدولة السيادية وليس العكس» ■■

# ذاكرة الخوف ترسم آخر الكلام..

دمشق: تهامة الجندي

**الكتاب: ما يشبه كلاماً أخيراً**

**مجموعة شعرية في ١٢١ صفحة من القطع المتوسط**

**المؤلف: نزيه أبو عفش**

**الناشر: دار المدى ١٩٩٧**

... قفا نبك هذا الخراب الجلل
قفا نبك من حرقة اليأس.. أوقفا لنشعل شمعتنا وسط هذا الظلام
ونحرس جثمان هذا الأمل... (ص ٥٩)

كلمات تستعير من الماضي عادة البكاء على الأطلال... كلمات مغموسة بوهج الإنطفاء، ترثي روحنا وحطام أحلامنا الضائع في سراديب الظلام.. كلمات يرسمها نزيه أبو عفش صوراً حارقة في مجموعته الشعرية الأخيرة «مايشبه كلاماً أخيراً».

يأتينا كلامه الأخير من بين ركام العناوين والأسماء التي مللناها من كثرة ما أعادت كل ما هو باهت ومكرور، يأتينا كلامه لغة جديدة في مجمل تراكيبها وعلاقاتها، لغة قادرة بأمانة على تجسيد وموازاة ما نعيشه من خراب، لغة تضيف للشاعر تميزاً آخر في محطته الحادية عشرة من رحلته الشعرية التي بدأها عام ١٩٦٨ بمجموعته الأولى «الوجه الذي لايغيب».

تندرج قصائد المجموعة - وعددها ثماني عشرة - تحت عنوانين كبيرين الأول «أرى الليل» وقصائده تشبه المراثي لعالم قد استكمل شروط انهياره، أما الثاني فهو «اسماء» ويشبه لوحات وجدانية، خصها الشاعر لأشخاص بعينهم مثل الفنانين يوسف عبد لكي ورضا حسس، والشاعر محمود درويش..

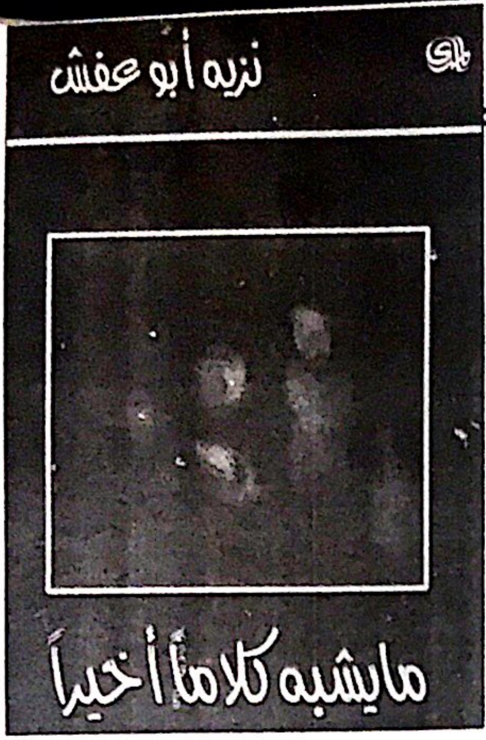
### رائحة النهايات...

منذ العنوان نشتم رائحة النهايات... نهايات الزمان والمكان والشخوص.. نهايات غير موقتة، لكنها تتأكد عبر قصائد المجموعة بمساحات الظلام الممتدة فيها، رائحة الموت والخراب وتلك الخطوط المكسورة بين شطري الواقع والحلم.. (حيث مشيت/ لي قبر وظلام/ حيث مشيت/ لي أم تبكي/ وأب يندب فوق سريري في الليل كأني ميت... حيث مشيت/ يرتعد فؤادي هلعاً) (ص ١٠-١٣)

وكيفما توجه الشاعر في توصيف عالمه الجريح يظل الخوف هو الشعور المسيطر والطاغي، خوف من اللحظة، من المجهول والآتي، خوف يصل حد الذعر، خوف "يجبر النفس على الإنكفاء، يشل ملكاتها، ويقطع جسور تواصلها مع المحيط خوف نشره في ثنايا المكان والزمان تاريخ مديد في قمع الطغاة وإذ تحار النفس في ترتيب مكانها بين ما هو مسموح وما هو ممنوع وغائب أو محاصر من نص الروح والرغائب والأحلام، تصاب بالجنون أو تنكر ذاتها (شخص يشبهني/ حياني ومضى../ فمضيت/ ثم دخلت إلى ظلمة نفسي/ فضممت يدي على رأسي/ وبكيت) (ص ١٧)

### دفء البدايات...

ثمة عالمان متناقضان، متناحران ينشطر بين حدودهما وجودنا ويتبعثر، العالم المتخيل المشتهى والواقع الجاثم بثقله وقيوده، وتتشكل القصيدة على أعتاب ذلك الإستدعاء الحر الذي يفترضه عالم لنقيضه، وهكذا من ظلمة الواقع ينبعث نور الحلم متوسلاً الأصول الأولى ملاذاً ودفناً أكيداً.. الرحم، الطين، العري، تلك البدايات التي أوجدتنا أحراراً هادئين... (عادياً أحرس توت حلمتيها وأمد الطرف في عرائها الحميم/ عادياً/ يجول قلبي كنبي شارد حول ضفاف نورها البهيج) (ص ٢٢).




تلك البدايات التي مازلنا نتوق إليها ومن أجلها نمجد الحياة رغم ظلامها المفروض... تلك البدايات التي تنشر الأمل الذي مازال ينبض به قلب شاعرنا أبو عفش فيدخلها بصراحة...

سنحب الحياة إذن... سنحب الحياة
وسنلعنها حين تقنط
ثم نتوق إليها مؤبدة كظلام الطواغيت
خادعة كالعدالة
عمياء كالحب
فتاكة كقلوب النساء
ومالحة كالنشيج (ص ٥٤)

### الرسم بالكلمات

تنهض قصائد المجموعة وتؤسس وجودها غالباً على أوتار الحوار... حوار فيه مساءلة، وفيه إقرار حقائق، ينسكب أحيانا منولوجات داخلية وأخرى خطاب مباشر وأحياناً حوار ضمني بين عناصر القصيدة يجيد ترتيب حروفها في علائق جديدة، تحيي الصورة الشعرية وتكسبها أبعاداً شاسعة للحركة والتمايز (يارب/ أنت يارب السفهاء والقضاة والبرابرة/ رب العناكب والملوك والعقارب/.. انظر إلى نفسي وساقي وصدري/ وما يسيل على فمي من وجع... وفاقة... وأنين/... أنظر إلى غصتي ترن في الظلام. (ص ٣٩-٤٠-٤١).

بينما تشبه قصائد «أرى الليل» في وقعها وزخمها سينفونية «القدر» لبتهوفن، تقترب قصائد «اسماء» من شفافية لوحات رامبرانت، هنا يهدأ حنق الشاعر وهياجه ويستعير من لغة الفن التشكيلي - التي يمتلكها جيداً - أدواته، فتغدو قصائده الطافحة حزناً شفيفاً، لوحات تتكاثف فيها العناصر البصرية من موجودات وألوان وخطوط ضبابية، تعكس انطباعات الشاعر وتؤكد أنه ليس الغريب الوحيد في هذا العراء، ومن البورتريه التي رسمها للفنان يوسف عبد لكي نقرأ: (كيلا تشيخ روحي/ من الوحدة والظلام وانعدام الود/ أرسم على جدار زنزانتي/ وردة/ يشمها السجان... فيبكي...) (ص ٩٥).

### وماذا تبقى...؟

كل كلام يحاول لمس «مايشبه كلاماً أخيراً» يبدو غبار كلام، فالمجموعة كل مكتمل لاتنصفه إلاّ القراءة العميقة والتأمل، حيث تتكاثف انكسارات زمن عقيم في قاع أرواحنا وتنسحب صرخة اعتراض أخيرة نضمها إلى صوت نزيه حين يقول:

الحياة..
وهي تذبل في تيه أعمارنا
وصمة في ضمير الطغاة...؟!
ص (٨٧)



# جرس الكلام

شعر: طلعت سقيرق

كفّي على جرس الكلام
يردّني وجهي إلي
واقتفي أثري
ابوحُ بما أخبئ
من عناوين ارتطامي
بالفضاء الحرّ
أو هذا الزّحام
... يفتّحُ الآن السكونُ وارتدي
شبّاكَ آخر وردةٍ
كانتْ تنامُ على ذراعِ الوقتِ
تبدأ رقصة الوجدِ
اندلاع الصمتِ
من بابي إليَّ
يرود في الجسد الغرامُ
الشهدُ... أروقة الأصابعِ
بحّة الناي... الهيامُ
قصيدةٌ راحتْ تنقط وجدها
عنباً ينقطُ في دمي
أو رعشة الحناء في عرس الفصولِ
وأشتهي في لثغةٍ..
عضتْ على طرف الوصولِ
واشتهي ورداً يفتحُ وردة في وردةٍ
شدّتْ على مطر الذهولِ
واسرجتْ - في فصلها - شمس الصهيلِ
وأقتفي أثر الأصابع فوق داليتي
يدوّخني هواكِ فأقتفي أثري
وابحر داخلاً في ظلّ قافيتي
في ظل داليتي
○○○
كفّي على جرس الكلام
أحاول الان ارتداءَ الوقتِ
أوقد أرتدي في رجعتي صمتي
وأرحل في شبابيك الظلال
أمدُّ في زمني شبابيك السلالِ
وارتدي في سدةِ الوقتِ الذهولَ
وارتدي في رجعةِ الريح الهطول
وأنتِ يرتعشُ الكلامُ...
وأنتِ في البوحِ الأثيرِ
وأنت في البوحِ الأخيرِ
وكنتُ في شجر التماهي التقيكِ
وارصفُ البحرَ الخرافي...
الظلالَ...
بلحنٍ من مرّوا على جسدي
وضاعوا في زحام
الوقت والصدأ انتبهتُ إليك لم
أحمل سوى تفاحةٍ
سقطتْ على جرحي فخامرها
الشعور المر
أذهلها دمي في لحظة الشكوى
علي وصحتُ من
وجعِ أعيدي كل ما مسّ الأصابع
من بساتين اللقاء
وصحتُ لم أحمل سوى روحي إلي
كأنني امشي
على حرفِ السكاكين اشتعالاً
فاحملي قلبي
اعيدي لحظتي قاسٍ ومرّ علقم طعم
احتراقي
واشتياقي...
أنتِ في البوحِ الأخيرِ
وكنتُ في شجر التوجّع التقيكِ
وارصف الملحَ الخرافي.. الظلالَ
بهمس أمنيةٍ
تفصلُ في زمان الوصلِ...
والوصلِ
التحامَ الروح بالروحِ
ارتعاشَ البحر بالبحرِ
انتبهتُ وكنتُ والنحل اللذيذ يرود
في
بدني
ويشعل آخر الشطآن والكلماتِ
والنحلُ اللذيذُ يراودُ النحلَ المهيأَ
في
كرياتي
اشتهيتُ تنهُدَ الرمانِ حين يغازل
الضوءَ
اندلاعَ مساحةِ الحلم
انتبهتُ وكنتُ ما بين ارتعاش
مسافةِ
الحنّاء
في شهدِ الوقوف على الرصيف
وقبلةٍ راحت تدكُ تسابق اللحظاتِ
أو في قبلةٍ من ورد أعناقِ الأصابع
عُتّقتْ
حين انتبهتُ ونقّطَ البحر الظلال
على
المراكبِ
نقط البحر الزمانَ
ونقّط البحر المكانَ
تراكضتُ في الوقت أمواج الندى
من كان يا أنتِ ارتدى
فصلَ الوصولِ إلى الصدى
○ ○ ○
كفّي على جرسِ الكلام
وكنتُ في هذا الزّحامَ
أمرّ من وجهي إليَّ
وأرتدي بعض الشبابيك
الشوارعَ.. أرتدي
ظلَّ الوقوف على المكان
اردّ للروح انتشاء الروحِ
كنت أمدّ اغنيتي...
ويطلع وجهكِ الذكرى وذاكرتي
فهاتي لحظة المدّ...
ارتديني في صقيع الوقتِ
او هاتي يديك وظلّلي...
ماشئتِ من عمري وهاتي لحظةً...
يا أنتِ وارتعش الزمان...
أمرّ وارتعش المكان...
أمرّ من وجهي إليّ
وخطوتي فوق الرصيف...
فحاولي يا أول النحل اللذيذ...
وآخر النحل اللذيذ...
أمدّ تمتدّ الشبابيك البيوتُ
يردّني وجهي إليَّ
هل الشوارع والشبابيكُ
الشوارع... أرتدي وجهي وذاكرتي
وأهربُ
أقتفي أثري إليّ...
اجيء للوقت القريب
أجيء للوقتِ البعيد...
اذوب في وعد المفاتيح الأخيرة
حين شباك
الزمان يردّ شباك المكان وأرتمي
فوق الرصيف
لأحتمي منّي ومن فيض المساءِ المرّ
من وجهي
ومرآة العيون السود من وجهي إذا
طار الحمام
وحطّ في فيض الظلالِ وظلاله
وقصيدتي في زحمة
الوقتِ الخرافي ارتدت لحمي
ونقطها دمي...
يا أنتِ يكتملُ المدى...
أو أنتِ يأخذني الصدى...
أو أنت يأخذني...
الصدى...
١٩٩٥/٤/٢١

# الاسبرانتو: لغة بلا شعب

## نبيـل المجلّـي

حلم قديم راود البشرية وداعب مخيلة الفلاسفة في ابتكار لغة واحدة تصلح لغة للبشرية ويتغلبون بها على عقبات اللغات القومية التي يتكلم بها الناس والتي تعد بالآلاف ما بين لهجات فرعية ولغات رئيسة. وجرت محاولات عديدة لاختراع مثل هذه اللغة الإصطناعية قبل وبعد لغة الإسبرانتو التي نحن بصددها اليوم، فكانت لغة الفولابيك ولغة الرومانس والبيزيك إنجلش ولغة الإيدو، لكن الفشل كان مصيرها جميعا لسبب أو لآخر ولم يحالف النجاح سوى اللغة الدولية إسبرانتو Esperanto التي ابتكرها طبيب العيون البولوني لودفيك لازاروس زامنهوف ١٨٥٩-١٩١٧ ووضع أسسها في كتاب «أساس الإسبرانتو» la Fundamento de Esperanto عام ١٨٨٧

### [لغة لا كاللغات]

قلنا أنه يوجد في العالم اليوم حوالي ٥٦٠٠ لغة حية دون أن ندخل في اعتبارنا اللهجات التي لايحصيها العد، ومع ازدياد احتكاك الشعوب بعضها ببعض من خلال الرحلات التجارية والسياحية والعلمية وبتطور العقل البشري كون الناس اللغات كوسيلة اتصال وتفاهم، ثم ابتكروا لها حروفاً ليكتبوا ويدونوا الفوائد والوثائق والمعاهدات وغيرها ثم تعلموا في طور آخر الإختزال نتيجة الحاجة إلى السرعة ثم جاءت التسجيلات الصوتية وأجهزة الترجمة الفورية. وفي غضون ذلك اشتد شعور الكثيرين بالحاجة إلى تعلم اللغات وأخذت بعض الحضارات عبر التاريخ تتنافس في نشر لغاتها بين الشعوب الأخرى لغايات سياسية وثقافية ودينية... وأنفت أمم كثيرة من تعلم لغات الآخر خوفاً من تغلغل نفوذه السياسي والإقتصادي وخشية على الهوية... من هنا أتت لغة الإسبرانتو لتقرب بين الشعوب ولتجعل لغتهم واحدة دون طمس اللغات القومية.

وهي كلغة قياسية لها ما يؤهلها لمثل هذا الهدف النبيل خلافاً لغيرها من اللغات. وإذا كانت الإنجليزية في طليعةاللغات العالمية في الوقت الراهن إلا أن تهجئتها بدائية، مما حدا بالإنجليز أنفسهم في وقت متأخر، لتعليمها في المراحل الأولى في مدارسهم، على أن يرجع التلميذ بعدها إلىالصورة التاريخية للكلمات التي يريدون الإلتزام وإلزام الآخرين بها على علاتها وبدائيتها.

والواقع أن اللغة الإنكليزية لغة سماعية ليس فيها قواعد مطردة عموماً، وهي كثيرة الشواذ ولايمكن أن نتصور كيف يمكن لغير الإنجليزي أن يتعلمها بصورة علمية دقيقة قبل سنين من الدراسة الجدية المتواصلة، ومثل هذا ينطبق أيضاً على الفرنسية والروسية، تلكم اللغتان اللتان لانهاية لنحوهما وحروفهما وطرقهما «الخاصة» في التعبير.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت خلال عشرات السنين في محاولات لنشر هذه اللغات، لم يستفد منها إلا الخواص من المتعلمين، بينما بقيت الأغلبية الباقية من غير أهلها ممن أنفقوا أعواماً في تعلمها، تجهل الشيء الكثير عنها، عدا عبارات ونبذ قد تكون غير وافية بالغرض.

وعلى النقيض من ذلك تتكون لغة الإسبرانتو الدولية من ست عشرة قاعدة مطردة مستمدة من أهم اللغات العالمية فهي بهذا الإعتبار قياسية منطقية تراعي في اختيار الكلمات الشيوع بين بني البشر، ويستطيع المرء أن يشتق من الجذر الواحد من عشر إلى خمس عشرة كلمة، وقد تصل إلى خمسين كلمة في بعض الأحيان، مما يجعلها سهلة التعلم من خلال عدد محدود من الحصص الدرسية لمن كان على علم بإحدى اللغات الأوربية، لأن الإسبرانتو مأخوذة من جذور اللغات الأوروبية.

وخلال هذا القرن الأول من عمرها اجتازت لغة الإسبرانتو الدولية بنجاح امتحاناً كبيراً وتم تطويرها على أيدي جهابذة اللغة في العالم حتى وصلت إلينا آية في البساطة والدقة والفنية والغنى بما لذ وطاب من ثقافات وآداب وعلوم الأمم كلها من الشرق والغرب.

### [انجازات مهمة]

انتشرت لغة الإسبرانتو انتشاراً واسعاً جداً بين المثقفين وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى في أوروبا وفي الأمريكيتين، كما كتب لها قسط وافر من النجاح فيما بعد في البلدان المتطورة الأخرى كالصين واليابان واستراليا، وفي الوقت الحاضر تلقى لغة الإسبرانتو انتشاراً كبيراً في دول آسيا وأفريقيا وفي الدول التي كانت تصنف سابقاً تحت لواء المعسكر الإشتراكي وذلك كمخرج من مأزق تنافس اللغات المحلية فيما بينها (في بلدان الإتحاد السوفيتي سابقاً وسويسرا مثلاً) وأيضاً كمهرب من محاولات بعض الدول الكبرى لفرض لغاتها كلغات دولية تبعاً لنفوذها السياسي والإقتصادي.

يبلغ عدد الناطقين بهذه اللغة خمسين مليوناً موزعين على أركان الكرة الأرضية وفيهم شخصيات عالمية عديدة، ويمثل هؤلاء رابطة الإسبرانتو العالمية التي تم تأسيسها عام ١٩٠٨ ورمزها UEA ومقرها في روتردام بهولندا، وهي بمثابة مجمع لغوي لهذه اللغة. يتعاقب على رئاسته علماء لغويون من مختلف الشعوب بواسطة الإنتخاب الديمقراطي وتعقد هذه الرابطة مؤتمراً سنوياً منذ زمن بعيد أشبه ما يكون سوق عكاظ لعشاق هذه اللغة، يتم نقله على محطات البث التلفزيوني والمسموع في الدول المضيفة، ويتبع لهذه الرابطة جمعيات محلية وأندية كثيرة.

في عام ١٩٢١ نجح الإسبرانتيون في حمل عصبة الأمم على الإعتراف بالإسبرانتو لغة رسمية فيها ثم تلتها منظمة اليونسكو التي اتخذت في عام ١٩٥٤ قراراً يعترف لحركة الإسبرانتو بخدماتها الكبيرة في مجال العلاقات الثقافية بين الشعوب، وأوصت الأمم بتشجيع نشر هذه اللغة وتعليمها. وعلى الرغم من ضعف انتشار هذه اللغة عربياً فإن هناك أسماء عربية لامعة في سماء الإسبرانتو أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر الدكتور نصيف اسحق من مصر العربية وله كتاب تعليمي وقاموس إسبرانتو عربي صغير وهذا الجندي المجهول يواظب على حضور المؤتمرات السنوية بلباسه العربي التقليدي (الحطة والعقال) ممثلاً للأمة العربية، وهناك الأستاذ حسين محمد العاملي من العراق، وهو رجل أعمال له اهتمامات لغوية وله آثار أدبية وسياسية فيها... ونظراً لما تتيحه هذه اللغة من فرصة نادرة لمخاطبة مثقفي العالم، فقد استخدمها العاملي مشكوراً لكشف زيف إدعاءات الصهيونية في فلسطين من خلال كتابه «خمسون إدانة للصهيونية» جمعها من التوراة والتلمود وتعرض من جراء ذلك لحملة من التهديدات اليهودية بقتله... وهذا يكشف اهمية تعلم هذه اللغة لإبطال مفعول الدعاية اليهودية العالمية من خلال العلاقات الخاصة والعامة. واذكر أيضاً العربي المهجري في أمريكا الجنوبية (الأرجنتين) جورج إبراهيم الذي ترجم عدداً من أعمال جبران خليل جبران إلى هذه اللغة وكذلك شرع في وضع معجم عربي ـ اسبرنتي توقف عن إتمامه وأرسل ماتم إنجازه إلي حالما علم بأنني أعمل على انجاز معجم مشابه وذلك لتواضعه.

### [لغة بمميزات عبقرية]

تقاس عبقرية اللغة بقدرتها على التعبير عن أدق التفاصيل وهي بذلك تشبه اللباس فكلما كان القماش ليناً والتصميم رائعاً كلما تمتع المرء بالقدرة على الحركة والإنحناء والقيام بحرية أكبر والإسبرانتو من هذه الناحية جمعت بين التناهي في البساطة مع الدقة في التعبير؛ حيث أن جميع الأسماء تنتهي بحرف واحد هو O- وجميع الصفات تنتهي بحرف واحد هو a- وجميع الظروف تنتهي بـ e- والحالة الإعرابية الوحيدة التي تميز بحرف هي حالة النصب وتميز بحرف n- الذي يأخذه الإسم المنصوب والصفة التي تصفه، ثم إن نظام الكلمات في الجملة سهل فلا يضر تقديم كلمة أو تأخيرها لأن المعنى يبقى واحداً مهما تبدلت مواقع الكلمات في الجملة. وتأخذ جميع الأفعال المضارعة النهاية as- والأفعال الماضية is- والأفعال في المستقبل os- وتصاغ صيغة الأمر بإضافة الحرف u- إلى جذر الفعل وهناك قائمة مغلقة لمتبادلات العلاقة وحروف الجر ويوجد حرف جر je الذي يحل كل معضلة حين تعجز عن استخدام أي حرف جر آخر في الجملة لأداء المعنى المطلوب. وتتمتع اللغة بجرس جميل ساحر يذكرنا بأجواء اللغتين الإيطالية والإسبانية ولا أبالغ حين أقول إن الناطق لأية لغة أوربية يستطيع أن يفهم ٨٠٪ مما يقال أمامه بلغة الإسبرانتو لكنه لايستطيع أن يتفاعل معها إذا لم يتعلمها. بقي أن أقول إن هناك ميزة لهذه اللغة تتمثل في حماس هواتها وعشاقها إلى درجة الإستعداد لمساعدة كل ناطق لهذه اللغة بكل ما أمكن من دعم معنوي ومادي فما أن يسمع هواة هذه اللغة بشخص يتقنها في بلد من البلدان حتى تنهال عليه الرسائل والهدايا من كتب وأشرطة وتذكارات وطوابع الخ وفي هذا توفير وأنا شخصياً استفدت من مثل هذه الهدايا لتأسيس زاوية للإسبرانتو في مكتبتي تضم حوالي ٣٠٠ عنوان تشمل الكتب والمجلات والصحف وغيرها.

## عزف منفرد

# محمود درويش فرحاً.. بعودتك إلينا

مثل كل اللحظات المشحونة بتوتر الترقب، وقلق الإنتظار كانت أنظارنا مشدودة إليك في مشفاك الباريسي، خوفاً عميقاً على قلبك المتعب، الذي فاض أغاني وآلاماً وأوجاعاً، هذا القلب الذي طالما غنى للبيت، والبرتقال، وزهر الحنون. والذي طالما، أطلق النشيد تلو النشيد، حتى أمست مفرداته بيارق، وأوسمة نعلقها على صدورنا، التي كادت تنفجر بين أضلاعنا في لحظات الهزيمة وإنكسارات الحلم.

أيها الشاعر، الذي يعيد صوته الأمل إلى أرواحنا، في كل مرة،عند المنعطفات الدقيقة،بعد إعادة صياغة المشهد، رؤية تاريخية ثاقبة،لاتقف عند عتبات «الكلام العابر» إلا بوصفه جولات عابرة في صراع مستديم.. مثل الموسيقى التي تنساب فرحاً، وعذوبة وأملاً، بعد إنشداد التوتر، استرخت أعصابنا، فرحاً، بعودتك إلينا، من برزخ الصمت، وسكون العتمة.

أيها الشاعر، الذي نفخر أننا ننتمي إليه، وينتمي إلينا نحن بحاجة إلى أغاني قلبك، تكثف في أبلغ الصور، وأجمل الاستعارات أوجاع قلوبنا، وآلام منافينا، وغربة وطننا المسيّج بحصار الطغيان وزيف الحقيقة.

بك نستقوي على صمتنا، ونطلق للريح صهيل أرواحنا، «فالحصان لن نتركه وحيداً»، هو قدرنا، الذي نقاوم به اقدارنا، إنه الأوذيسة الفلسطينية التي كُتبت بدماء شبابنا، تستعيد بمرارة، الذكرى الخمسين على مأساتها، لكن، مع عودتك، وبك، نجدد بقوة دماء حلم الصوت الفلسطيني المقاوم، الذي لن يدعهم يفرحوا لصمته!■■

**علي الكردي**

### مربعات وشطايا




عن دار الكنوز الأدبية في بيروت، صدرت مجموعة قصصية للكاتب مصطفى الولي بعنوان: «مربعات وشظايا». احتوت المجموعة على احدى عشرة قصة قصيرة.

تنهل قصص الولي من تجربة حياتية ونضالية ثرة، وبلغة تأملية تستعيد مناخات وشخصيات تنبض بالدم والأعصاب والحركة، تقع المجموعة في ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط، والغلاف للفنان البحريني جبار الغضبان.

### التسوية وقضايا الحل النهائي

صدر حديثاً عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت كتاب: «التسوية وقضايا الحل النهائي»، للباحث الفلسطيني ماجد كيالي، حيث ينطلق الباحث من التسوية نفسها التي طرحت «في ظل الترتيبات الدولية الجديدة، وما ولدته من مناخات وتناقضات» مجموعة من الأسئلة الجديدة على دولة اسرائيل، وعلى المشروع الصهيوني الأصلي الهادف لإنشاء «دولة لليهود»، والذي لم يرسُ في المقام الأخير، إلا على «الأمة الاسرائيلية» (...) حيث يستنتج الباحث أن النجاح الظاهر للمشروع الصهيوني، كان يخفي تناقضات عميقة تشي بفشل استهدافاته الأساسية: إنشاء دولة يهودية وإلغاء الشعب الفلسطيني.

يتناول الكتاب بالتحليل دوافع عملية التسوية، ومعوقاتها، ومسالة الأرض والحدود والسيادة، وقضية الصراع على القدس، وقضية اللاجئين الفلسطينيين، ويخلص كيالي إلى أن المقاربات الاسرائيلية لمواضيع الأراضي، والقدس واللاجئين الفلسطينيين تثبت أن اتفاقات أوسلو، انما هي اتفاقيات إذعان تمثل المحصلة لانتصار المشروع الصهيوني في المنطقة وينقل الصراع بالتالي إلى محطة تالية، تحمل عناوين رئيسية: إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، ومقاومة الاحتلال والاستيطان وتهويد القدس، والتمسك بحق العودة.

### «مع الجميع.. وعلى حدة» لـ غسان جباعي

يجري المخرج المسرحي غسان جباعي على خشبة القباني بدمشق «بروفات» الحركة النهائية على عرضه المسرحية «مع الجميع.. وعلى حدة» عن نص الكاتب الروسي إلكسندر غلمان، بمشاركة الفنان الفلسطيني الكبير عبد الرحمن أبو القاسم بدور الزوج، والفنانة القديرة مها الصالح بدور الزوجة.

ينهض هذا العمل على مكاشفة مريرة بين زوج وزوجته على أثر حادثٍ مأساوي يؤدي إلى بتر ذراعي ابنهما الوحيد. هذا الحادث المؤلم يكون سبباً في كشف تاريخ العلاقة القائمة بينهما على الزيف والمراوغة والنفاق.

يبحر النص في خفايا النفس البشرية، ويكشف عن أورامها، حيث يحاول الكاتب من خلال تعرية هاتين الشخصيتين، تعرية نظام اجتماعي بكامله، حيث تنسحق القيم الأخلاقية النبيلة في سبيل المصالح الأنانية الضيقة.

من هنا، تتأتى صعوبة هذا النص، حيث يشتغل جباعي على نبش المشاعر الداخلية، وتحريك الذاكرة الانفعالية للمثل، ليقارب الأفعال الداخلية الصحيحة للشخصيات في عرضه المسرحي، الذي سيستخدم فيه «المرايا، وشاشة سينما، وفيديو، وعزف حي على الكمان، حيث تسيطر موسيقى الابن ـ الضحية طوال العرض على الأبوين وعلى مناخ العرض.

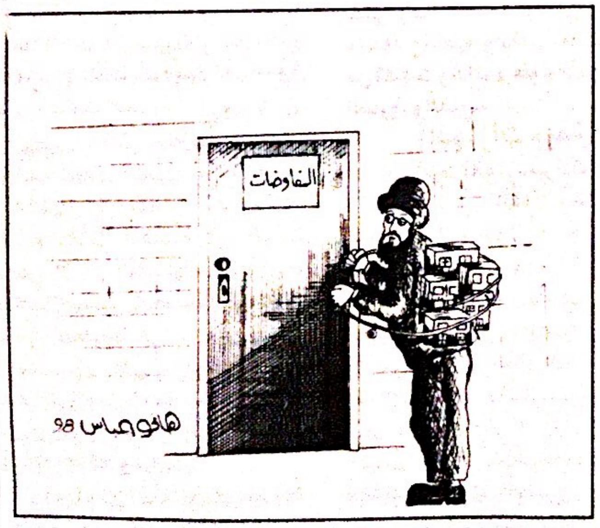
### مرافئ
### مجلة دورية تعنى بالشعر وقضاياه

فسحة للقول الشعري تستطيع القصائد المفعمة بالشغب الإبداعي أن ترسو عندها حين تشاء، ليس القصائد فحسب، بل كل ضروب الكتابات التي تنتمي لفن الشعر وتؤازره، وتوضح غاياته ومراميه وتعيد له اعتباره وتحتفي بمظاهره وتجلياته، وتحلم كما يحلم كل شعراء العالم في أن يكون الشعر لغة المستقبل والناطق الاسمى باسم كينونة الإنسان.

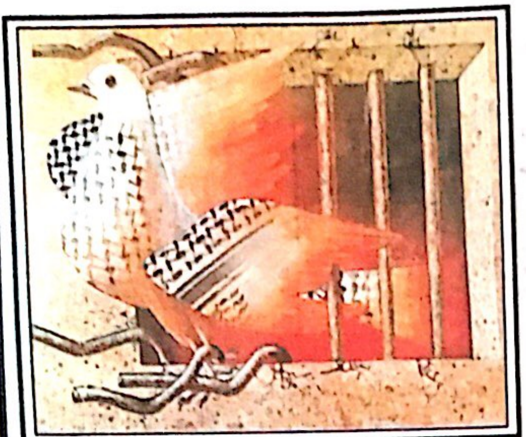
بهذا المعنى ستكون مرافئ فرصة للتحاور الشعري بمعناه الإبداعي العام، لكنها لن تكون أبداً محايدة في شيء، بل ستكون منحازة إلى قصيدة النثر ومنتصرة لقيمها الجمالية والإنسانية في آن، ومكرسة بذلك اختيار أسراب الشعراء الذين آمنوا بشعرية النثر، وشاعرية الحياة. وفي نفس الوقت ستفتح (مرافئ) قلبها وصفحاتها لقصيدة التفعيلة وستكون بذلك قاعدة وهامشاً يسمحان بالتعدد والإختلاف حين يتعلق الأمر بفنية الشعر ورهانات قضاياه.

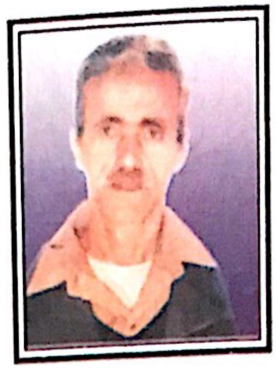
- المدير المسؤول: ادريس علوش
- رئيس التحرير: يحيى بن الوليد
- سكرتير التحرير: أحمد غيلان
- الإشراف الفني: عبد الإله بوعود

(المراسلات بإسم المدير المسؤول) ص.ب ١٣٢ أصيلة ٩٠٠٥٠ المغرب.
B.P132 ASILAH 90050 MAROC



# ١٧ نيسان يوم الأسير الفلسطيني





## محمد أحمد رجا النعيرات

- المیلاد: میثلون ـ ۱۹۲۹
- المعتقل: سجن «عسقلان»
- الإعتقال: معتقل منذ ١٩٧٦/٦/٣٠، ومحكوم مؤبد
- شيخ الأسرى ويعاني من امراض عديدة. مر على إعتقاله ٢٢عاما
- متزوج وله أسرة كبيرة. ولدان وأربعة بنات.
- رفضت اسرائيل اطلاق سراحه في عمليات التبادل السابقة

**Mohammed Ahmed Raja Al NOUERAT**

- Born in Maytheloon 1929
- Prison: Askalan prison
- Detention: Since 30.6.1976, sentenced for life
- The Senior of the detainees, suffering from various diseases, he has been imprisoned for 22 Years
- Married, has two sons and four daughters
- Israel refused to release him in the previous exchange actions

## لنناضل لإطلاق سراح كافة الاسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال الصهيوني

**Lets struggle for the release of all Palestinians and Arabs detained in the Zionist occupation prisons**

Palestinian FARAH institution — مؤسسة فرح الفلسطينية

الحرية لمناضلي الحرية
إنهم شهداء الوطن الأحياء يقفون عند خط الواجب الأول
وهبوا زهرة شبابهم من أجل الحرية والكرامة.
لتبقى قضيتهم عنوان عمل دائم وكثيف
ولا سلام بدون حرية الأسرى.
لتبقى قضيتهم حاضرة في كل المحافل الدولية وهذا واجب على الجميع أينما كانوا.

يقبع في سجون الاحتلال الصهيوني حوالي (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف معتقل من بينهم ()١٢٠ معتقلاً من الدول العربية (٥٢ لبنانياً، ٢٢ سورياً، ١٥ مصرياً، ٧ عراقيين، كويتيان، وليبي) بالإضافة إلى ٣ إيرانيين. وحوالي ٢٥٠ معتقلاً إدارياً بدون حكم. يوجد حوالي (٥٠٠) معتقل يعانون من مختلف الأمراض المزمنة وهم بحاجة إلى رعاية صحية دائمة.

---

تتم المراسلة عن طريق الصليب الأحمر الدولي: corespandation can be done through the red cross:

محمد نعيرات: MOHAMMED AL-NOUERAT

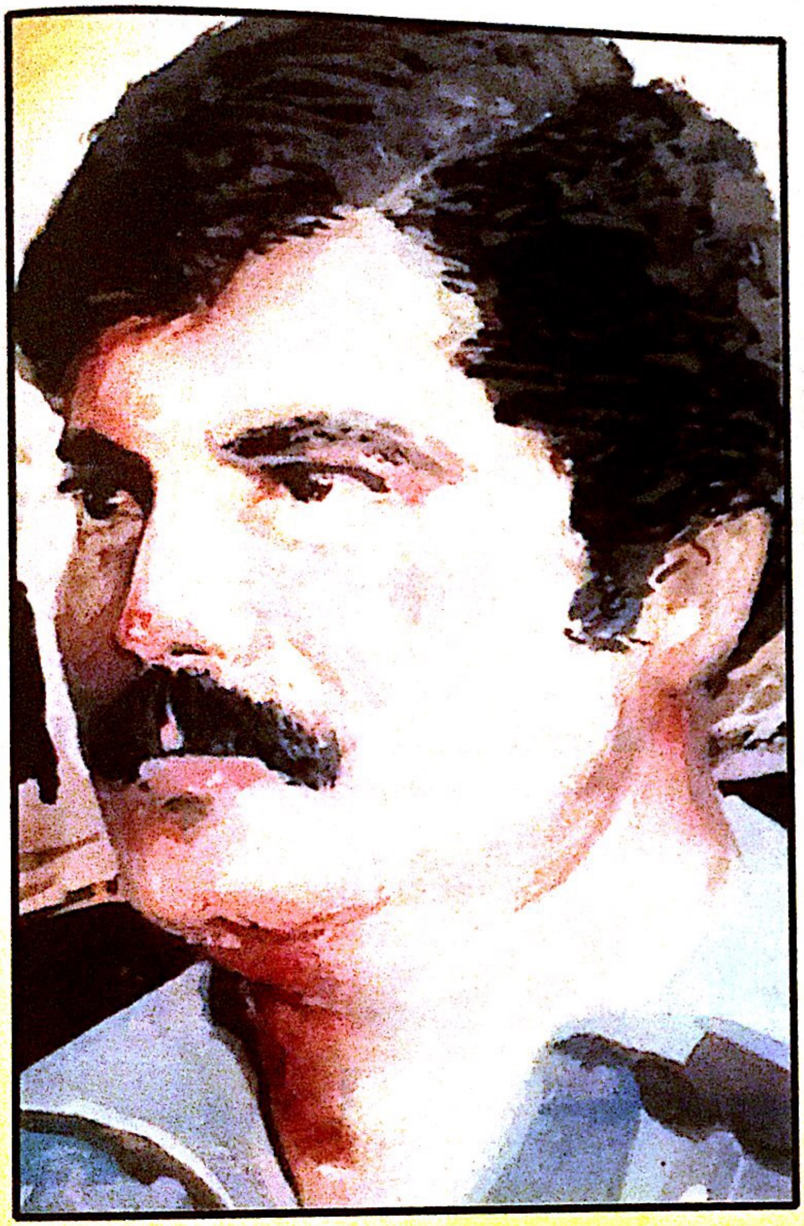
سجن عسقلان: Asqalan Prison

P.O BOX 17 . Asqalan 78100

# اطلاق سراح المناضلين

## أحمد قطامش

## حسن فطافطة



لم يقوَ السجن على احناء هامات فرسان الحرية.

فلم يأخذ منهم شيئاً، وأبت الهامات إلا أن تبقى شامخة.

هنيئاً لأمتنا، هنيئاً لفلسطين، هنيئاً لنا بحرية المناضلين.

**أحمد سليمان قطامش وحسن فطافطة**

وبقية المناضلين الذين تحرروا مؤخراً.

وسيستمر النضال حتى تحرير جميع أسرى الحرية في سجون الاحتلال.